إيالة دمشق
دراسة توثيقية نقدية في مخطوط رسالة جغرافية بلاد الشام للعالم الأديب رفاعة الطهطاوي

الدكتور المهندس محمد يسار عابدين
كلية الهندسة المعمارية
جامعة دمشق

ملخص

لا تزال تحتفظ من نوادر مخطوطات المكتبة العربية التي لم يتم تحقيقها أو التعريف بها، رسالة بعنوان "جغرافية بلاد الشام" لرفاعة رافع الطهطاوي، صنفها المستشرق الألماني كارل بروكلمان (1956)في مواضيع الجغرافية، وتأخذ رسالة الطهطاوي قيمتها التاريخية في أنها غير مطبوعة وغير محققة، وقيمتها العلمية بوصفها إسهاماً في علم الجغرافية وفي علم التاريخ، وتزداد أهميتها من خلال المنهجية المتبعة في إنجازها، ومن نوعية المعلومات المدرجة فيها.

اعتمد الطهطاوي في وضع رسالته على النقل من عدد محدود من المصادر الأجنبية والعربية، التي نقل منها حرفياً، ومرات قليلةً كان النقل يتم بتصرف بهدف الاختزال، واعتمد على الإنشاء اللغوي في خطابة تفيد إجراء المقارنة الفكرية دون

تأكيد حقيقة ثابتة؛ فكان يستعرض ما ترجمه من نصوص دون ذكر لترجيح أو تقيـيم أو دمج أو تحليل.

من أهم العوامل التي أثرت في تاريخ بلاد الشام، وضعها الجغرافي الذي يتكون من بيئات طبيعية متعددة متباينة تجمع بين المتناقضات جميعها؛ ومن هذه الأهمية تـم العمل برسالة "جغرافية بلاد الشام" للشيخ رفاعة رافع الطهطاوي وفق منهجية تحقيـق المخطوطات.

ويبدأ البحث في عرضٍ لترجمة الشيخ الطهطاوي مرتبة بالسنين من ولادته حتى وفاته رحمه ا ؛ مستخلصةً من نصوص مجموعة مقالات ودراسات أنجزت عن حياة الشيخ، ومن مقدمات كتبه، ومن أرشيف مركز الأهرام للصحافة في القاهرة.

يليه عرض مختصر لإسهام العلماء المسلمين في مجال العلوم الجغرافية.

ثم وصف شكلي وعلمي للمخطوط، مع عرض وجهة نظر خاصة عن محتـوى الرسالة، واستعراض ملخص عنها.

ويتضمن الجزء الأخير من هذا البحث تحقيق مقدمة الرسالة التي تتعلق بعمـوم جغرافية بلاد الشام، وتحقيق الجزء الخاص بإيالة دمشق، وذلك من خلال رصد المتن وتشكيله وترقيمه وتهميشه بهوامش لا تخرج إضافاتها عن المراحل التاريخيـة التـي يتحدث عنها الشيخ الطهطاوي في رسالته.

وينتهي البحث بخاتمة تتضمن بعض النتائج والتوصيات، تفيد في أن الطهطاوي خلّف كتباً ذات قيمة علمية في مجلدات، ولم يعرف عنه كتابة الرسائل والموضوعات المختصرة؛ وأن هذه الرسالة كانت مسودة لعمل أكبر، وأن الشيخ ما كـان لينشـرها دون تعديلها.

مدخل:

تعد نصوص الرحالة الجغرافيين والبلدانيين من أهم المصادر العلمية لكل من يبحث في التاريخ المدني والعمراني والبيئي لأي منطقة، وتمتاز هذه النصوص بمحتواها من وصفٍ ورصدٍ ومقارنات مزجت بالخلفيات الثقافية لكتابها ونبعت من فكرهم على شكل عام في صيغ أدبية وحقائق ومعادلات ومخططات ورسومات شأنها أن تؤكد أو تنفي أو تغطي أخبار مرحلة زمنية من تاريخ منطقة محددة.

وتعد بلاد الشام من المناطق المهمة جغرافياً وتاريخياً على مدى التاريخ، تناولها المؤرخون والرحالة في كتبهم وسيرهم، وصنفوها في منازل الأراضي المقدسة وجنان ا في الأرض، وتنازعتها الحضارات القريبة والبعيدة، ويعود تاريخها لآدم وحواء وهابيل وقابيل[1]، وتعود حضارتها لأيام نوح عليه السلام وثمود وعاد الثانية، تعاقب عليها الآراميون والفرس واليونان والفراعنة والرومان والبيزنطيون والعرب، وكانت ولا تزال هدفاً أساسياً للحملات الصليبية.

و"بلاد الشام"[2] اسم أطلقه العرب منذ القرن الرابع أو الخامس للميلاد على عموم الأراضي الممتدة من الفرات شرقاً إلى المتوسط غرباً، ومن حد بر الأناضول عند جبال طوروس شمالاً إلى حد مشارف سيناء جنوباً.

وكان العرب القدماء يميزون بين مواطنهم الشمالية ويسمونها الشامية، ومواطنهم الجنوبية ويسمونها اليمنية[3]. والفاصل بينهما رمال النفوذ وما يليها من البادية إلى

---

[1] اعتاد أهل الحضر على المفاخرة بالمكان كانتماء دون الأنساب لأسباب عديدة، وفي هذا نسجوا ملاحم دينية تاريخية تقدس بلدانهم وأماكنهم، ذكرها المؤرخون بعد قولهم: (وقد روى بعض الأوائل)، راجع: الحموي ياقوت، **معجم البلدان**، دار الفكر، بيروت، لبنان. (464/2).

[2] الدبس يوسف إلياس، **الموجز في تاريخ سورية**، المطبعة العمومية المارونية، بيروت، 1907. (ص: 19).

[3] المرجع السابق. ص: 23.

الشرق والغرب. وهي ما تُعرف اليوم بكل من سـورية ولبنـان وفلسـطين والأردن مضافاً إليها قسم من تركيا هو: عين تاب ومرعش وسيس وأضنه وإسكندرونة.

ولعل من أهم العوامل التي أثرت في تاريخ بلاد الشام، وضعها الجغرافـي الـذي يتكون من بيئات طبيعية متعددة متباينة تجمع بين المتناقضات جميعهـا؛ فهنـاك الجبـال والسهول والصحارى والأراضي الزراعية. كما أن إقليم الشام يتميز بتنوع الأرض مـن ارتفاعٍ وانخفاض يسيران في سمتٍ واحد آخذاً مساراً طولياً من الشمال إلى الجنوب.

ومن هذه الأهمية تم العمل برسالة "جغرافية بلاد الشام" للشـيخ رفاعـة رافـع الطهطاوي وفق منهجية تحقيق المخطوطات.

يبدأ البحث بعرضٍ لترجمة الشيخ الطهطاوي مرتبة بالسنين من ولادتـه حتـى وفاته رحمه ا ؛ مستخلصةً من نصوص مجموعة مقالات ودراسات أنجزت عن حياة الشيخ، ومن مقدمات كتبه، ومن أرشيف مركز الأهرام للصحافة في القاهرة.

يليه عرض مختصر لإسهام العلماء المسلمين في مجال العلوم الجغرافية.

ثم وصف شكلي وعلمي للمخطوط، مع عرض وجهة نظر خاصة عن محتـوى الرسالة، واستعراض ملخص عنها.

ويتضمن الجزء الأخير من هذا البحث تحقيق مقدمة الرسالة التي تتعلق بعمـوم جغرافية بلاد الشام، وتحقيق الجزء الخاص بإيالة دمشق، وذلك من خلال رصد المتن وتشكيله وترقيمه وتهميشه بهوامش لا تخرج إضافاتها عن المراحل التاريخيـة التـي يتحدث عنها الشيخ الطهطاوي في رسالته.

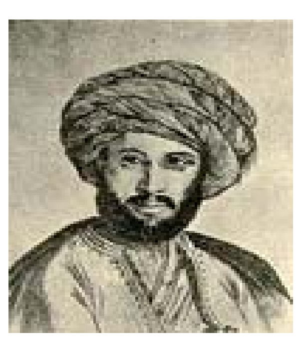
وينتهي البحث بخاتمة تتضمن بعض النتائج والتوصيات.

رفاعة الطهطاوي 1801- 1873م:

و رفاعة بن بدوي رافع بن علي الطهطاوي[4]، من أسرة كريمة الأصل شـريفة النسب؛ ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب. وأمه فاطمة بنت الشيخ أحمد الفرغلي، ينتهي نسبها إلى قبيلة الخزرج[5].

ولد رفاعة رافع الطهطاوي في 7 من جمادى الآخرة 1216 هـ الموافـق 15/ تشرين أول/ 1801 م ببلدة طهطا إحدى مدن محافظة سوهاج بصعيد مصر[6].

وقد لقي رفاعة عناية خاصةً من أبيه، واهتماماً بتعليمه، مما هيأه للتنقل بين عدة مدن في صعيد مصر لتلقي العلوم، فحفظ القرآن الكريم، ثم رجع إلى موطنه طهطـا بعد أن توفي والده عام 1816م. ووجد اهتماماً كبيراً من أخواله الذين كانوا من مشايخ الأزهر، فحفظ على أيديهم المتون التي كانت متداولة في هذا العصر، وقرأ عليهم الفقه والنحو[7].



[4] أعدت الترجمة من نصوص مجموعة مقالات ودراسات أنجزت عن حياة الشيخ، ومن أرشيف مركز الأهرام للصحافة في القاهرة، ومن مقدمات كتبه المطبوعة، هذا وقد تمت مقارنة التـواريخ المدونـة للحدث الواحد لاختيار أدقها باعتماد المصدر والتكرار، كما تم اختصار النصوص والتعليقـات، وتـم التصرف ببعضها لغوياً لضرورات تتعلق بتسلسل الأحداث من جهة، ومحدودية صفحات البحث مـن جهة أخرى.

[5] الطهطاوي رفاعة رافع، تحقيق: عمارة محمد، التمدن والحضارة والعمران، ط1، المؤسسة العربيـة للدراسات والنشر، بيروت- لبنان، 1974. ص: 21.

[6] المرجع السابق. ص: 21.

[7] المرجع السابق. ص: 23.

التحق الطهطاوي بالأزهر سنة 1817م، وتلقى علوم الحديث والفقه والتصـوف والتفسير والنحو والصرف وغير ذلك. متتلمذاً على أيدي ثلّةٍ من الشيوخ الأجلاء مثل: (الفضالي، القويسني، البخاري، البنا، الدمنهوري، حبيش، البيجوري، الدمهوجي)[8].

وكان أهم أساتذته الشيخ حسن العطار شيخ الجامع الأزهر الذي تولاه بالرعايـة والتهذيب محبباً إليه الأدب والقراءة في مختلف الفنون والآداب ، وأورثه حب النظـر في العلوم الأخرى غير الشرعية واللغوية، كالتاريخ والجغرافية والطب، والاتّصـال بعلماء الحملة الفرنسية ومطالعة الكتب الغربية التي لم تتداولها أيدي علماء الأزهر[9].

وبعد ست سنوات من الدراسة في الأزهر تخرج الطهطاوي عام 1822م ليعمل مدرساً فيه مدة عامين، ثم استطاع شيخُه العطار أن يقنع محمد علي على تعيينه إماماً في الجيش[10].

والحدثُ الكبير في سيرة رفاعة الطهطاوي، يبدأ مع سفره سـنة 1826 م إلـى فرنسا مرشداً دينياً ضمن بعثة أرسلها محمد علي لفرنسا للوقـوف علـى الحضـارة الأوروبية الحديثة ودراسة العلوم والمعارف الإنسانية، في الإدارة والهندسة الحربية، والكيمياء، والطب البشري والبيطري، والعلوم البحرية، والزراعة والعمارة والرسـم والتاريخ الطبيعي والجغرافية؛ بهدف النهوض بمصر ورفعها إلـى مصـاف الـدول المتقدمة[11].

وأمام رغبة رفاعة الجامحة في التعلم قررت الحكومة المصرية ضم رفاعة إلى بعثتها التعليمية، وأن يتخصص في الترجمة، ولقي رفاعة عناية متميزة مـن العـالم

---

[8] المرجع السابق. ص: 23.

[9] علام مهدي وآخرون، **مختارات من كتب رفاعة رافع الطهطاوي**، دار المعارف، القاهرة، مصـر، 1958. ص: 27.

[10] الطهطاوي رفاعة رافع، تحقيق: عمارة محمد، **الأعمال الكاملة: السياسة والوطنية والتربيـة**، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت- لبنان، 1974. ص: 19.

[11] صالح رشدي، رفاعة رافع الطهطاوي، ط1، الهيئة، القاهرة، مصر، 1978. ص: 11.

الجغرافي الفرنسي فرانسوا جومار (Jomard Francois) الذي عهد إليه محمد علـي باشا الإشراف العلمي على البعثة، ومن المستشـرق الفرنسـي سلفسـتر ده ساسـي (Silvister De Sacy)[12].

واجتاز كل الامتحانات المقررة بنجاح باهر، وكانت التقارير التي ترسـل إلـى محمد علي في متابعة أخبار البعثة تخص رفاعة بالثناء والتقدير[13].

وقبل أن يتقدم رفاعة للامتحان النهائي في فرنسا، كان قد أنجز ترجمـة اثنـي عشر عملاً إلى العربية في مواضيع التاريخ والجغرافية والهندسة والصحة، فضلاً عن كتابه "تخليص الإبريز في تلخيص باريز" الذي سجل فيه وصف الحياة فـي بـاريس، وعادات أهلها وأخلاقهم، وأهداه إلى محمد علي باشا، الذي قرأه وأعجب بـه، وقـرأه ابنه إبراهيم باشا فأصبح أشد افتتاناً بالكتاب والمؤلِّف، وأمر محمد علي بترجمة الكتاب إلى اللغة التركية، وأن يقرأه كبار رجال الدولة الأتراك والشراكسة كلهم، بـل إنهـم سوف يمتحنون به[14].

عاد الطهطاوي إلى مصر من بعثته سنة 1832م، وكانت أولى الوظائف التـي تولاها بعد عودته من باريس، وظيفة مترجم بمدرسة الطب ، ومكث بها عامين، ترجم خلالهما بعض الرسائل الطبية الصغيرة[15].

وفي سنة 1833م انتقل رفاعة الطهطاوي من مدرسـة الطـب إلـى مدرسـة الطوبجية (المدفعية) بمنطقة (طره) إحدى ضواحي القاهرة، كي يعمل مترجماً للعلـوم الهندسية والفنون العسكرية[16].

---

[12] الطهطاوي، التمدن والحضارة والعمران، مرجع سابق. ص: 31.

[13] الطهطاوي، التمدن والحضارة والعمران، مرجع سابق. ص: 33.

[14] أبو مرق جمال، **أثر الترجمة على فكر رفاعة الطهطاوي، تلخيص الإبريز نموذجاً**، كلية التربيـة/ جامعة الخليل، مؤتمر "دور الترجمة في حوار الحضارات"، منشورات إتحاد الجامعات العربية. عمان، الأردن، 26-27 حزيران/يونيو 2007. ص: 247.

[15] الطهطاوي، التمدن والحضارة والعمران، مرجع سابق. ص: 61.

ولما اجتاح وباء الطاعون القاهرة سنة 1834م، غادرها إلى طهطا، ومكث فيها ستة أشهر، ترجم في شهرين منها مجلدا من كتاب ملطبرون في الجغرافية؛ ثـم عـاد إلى القاهرة وأنشأ مدرسة الإدارة لدراسة العلوم السياسية التي كانـت نـواة مدرسـة الحقوق[17].

وركز جهده على الترجمة، فأنشأ مدرسة الألسن 1835م، وعيـّن مـديراً لهـا، إلى جانب عمله مدرساً بها، بهدف إعداد جيل جديد من المترجمين، وجعل الدراسـة بها خمسة أعوام، ودرس بها اللغات الفرنسـية والإنجليزيـة والإيطاليـة والتركيـة والفارسية والعربية، وتخرج على يديه أكثر من مئة مترجم، ترجموا أكثر مـن ألفـي كتاب، وتولى نظارتها 13عاماً كاملة، وفي هذه المرحلة برز المشروع الثقافي الكبير لرفاعة الطهطاوي؛ ووضع الأساس لحركة النهضة[18].

ويعد الطهطاوي أول من أنشأ متحفاً للآثار في تاريخ مصر، عنـدما اعتـرض بشدة على قرار محمد علي بإهداءِ مسلة فرعونية إلى فرنسا، وقدم إلى محمـد علـي مشروعاً جريئاً لحماية الآثار نُشر في جريدة الوقائع سنة 1835م، ونص على أن تسلم لمدير مدرسة الألسن جميع الآثار التي يجدها الأفراد، فكان أن تأسـس أول متحـف مصري للآثار في فناء مدرسة الألسن[19].

في عام 1841م أنشأ قلم الترجمة ليتحول مع مدرسة الألسن إلى نافـذتين أطـل منهما على الحضارة الأوروبية، وترجم في الطب والعلوم والقانون والهندسة والشـعر والأدب، وألف في فنون شتى حتى اتسمت مؤلفاته بالموسوعية[20].

---

[16] الطهطاوي رفاعة رافع- تحقيق: أبو زيد فاروق، **محمد صلى الله عليه و سلم: "نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز"**، دار الفكر والفن، القاهرة، مصر، 1977. ص:19.

[17] الطهطاوي، التمدن والحضارة والعمران، مرجع سابق. ص: 36.

[18] الطهطاوي رفاعة رافع- تحقيق: عمارة محمد، **تاريخ مصر والعرب قبل الإسلام**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت- لبنان، 1975. ص: 22.

[19] أبو مرق، مرجع سابق. ص: 230.

[20] أبو مرق، مرجع سابق. ص: 230.

وعندما أنشأ سليمان باشا المدرسة الحربية جعل الطهطاوي وكيلاً لها، ثم أصبح ناظراً للحربية، واتجه بها إلى الدراسات المدنية، وقد تمت ترقيته إلى رتبة الأميرالاي ليحمل لقب (بك)[21].

كما أوكل إليه أمر الإشراف على تنظيم صحيفة " الوقائع المصرية " فأحدث فيها تغييرات كبيرة، وخطا بها خطوات واسعة إلى الأمام، وكانت تصدر باللغتين العربيـة والتركية، وجعل الأخبار المصرية المادة الأساسية بدلاً من التركية[22].

وقد اتسعت مدرسة الألسن، فضمت قسما لدراسة الإدارة الملكية العمومية سـنة 1844م لإعداد الموظفين للعمل بالإدارة الحكومية، كما ضمت قسما أنشئ سنة 1847م لدراسة الشريعة الإسلامية على مذهب أبي حنيفة النعمـان بهـدف إعـداد القضـاة، وأصبحت بذلك مدرسةُ الألسن أشبه ما تكون بجامعة تضم كليـات الآداب والحقـوق والتجارة[23].

ظلت المدرسة خمسة عشر عاما، كانت خلالها مشعلاً للعلم، ومنارة للمعرفـة، ومكانًا لالتقاء الثقافتين العربية والغربية، إلى أن عصفت بها يد الحاكم الجديد عبـاس الأول، فقام بإغلاقها لعدم رضاه عن سياسة جده محمد علي وعمه إبراهيم باشا، وذلك في سنة 1849م، وقرر نفي رفاعة الطهطاوي إلى السودان، بحجـة توليتـه نظـارة مدرسة ابتدائية يقوم بإنشائها هناك، فتلقّى رفاعة الأمر بجلد وصبر، وظل في السودان مدة دون عملٍ استغلها في ترجمة رواية فرنسية شهيرة بعنوان "مغامرات تلماك"، ثم قام بإنشاء المدرسة الابتدائية، وكان عدد المنتظمين بها نحواً من أربعين تلميذًا[24].

وبعد وفاةِ عباس الأول سنة 1854م، عاد الطهطاوي بعد قضاء أربعة أعوام من النفي إلى القاهرة، وأسندت إليه في عهد الوالي الجديد سعيد باشا عدة مناصب تربوية،

---

[21] الطهطاوي، التمدن والحضارة والعمران، مرجع سابق. ص: 36.
[22] الطهطاوي، التمدن والحضارة والعمران، مرجع سابق. ص: 37.
[23] أبو مرق، مرجع سابق. ص: 244.
[24] منصور أنيس، **رفاعة الطهطاوي**، جريدة الأهرام، 2008/4/27، العدد: 44338، القاهرة، مصر.

وكُلِّف الطهطاوي بمهمة إعداد أصول فقه دستوري مصري تقوم عليه حياة ديمقراطية نيابية صحيحة، فوضع "مناهج الألباب المصرية في مباهج الآداب العصرية"، وهو أول كتاب ظهر في الفكر السياسي والاقتصادي المصري نظرياً وتطبيقياً، متضمناً فصولاً في الاقتصاد السياسي والفلسفة الاجتماعية ،ومحاولة عصرية لبناء المجتمع المصري على أسس ديمقراطية شاملة[25].

وفي العام 1855م أنشأ مكاتب محو الأمية لنشر العلم بين الناس، وعاود عمله في الترجمة، ودفع مطبعة بولاق لنشر أمات كتب التراث العربي[26].

في العام 1856م تولى نظارة المدرسة الحربية التي أنشأها سعيد باشا لتخريج ضباط أركان حرب الجيش، وقد عني بها الطهطاوي عنايةً خاصةً، وجعل دراسة اللغة العربية بها إجبارية على جميع الطلبة، وأعطى لهم حرية اختيار إحدى اللغتين الشرقيتين: التركية أو الفارسية، وإحدى اللغات الأوربية: الإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية؛ ثم أنشأ في المدرسة الحربية فرقة خاصة لدراسة المحاسبة، وقلما للترجمة، وأصبحت المدرسة الحربية قريبة الشبه بما كانت عليه مدرسة الألسن. ثم ينتكس سعيد سنة1861م ويغلق المدارس، ويفصل رفاعة عن عمله[27].

ويتولى إسماعيل باشا الحكم بعد وفاة سعيد سنة 1863م، فيعاود رفاعة العمل، ويقضي العقد الأخير من عمره الحافل في نشاط مفعم بالأمل، ويشرف مرة أخرى، أخيرة، على مكاتب التعليم، ويرأس إدارة الترجمة، ويصدر أول مجلة ثقافية "روضة المدارس"، دعا فيها القراء إلى المشاركة في تحريرها، وقد اهتم في هذه المجلة بشؤون المرأة مؤكداً مساواة المرأة بالرجل. وطالب بإعادة النظر في منع المرأة من تولي الحكم، كما اهتم بمشاركة المرأة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع،

---

[25] الطهطاوي، التمدن والحضارة والعمران، مرجع سابق. ص: 38.

[26] عصفور جابر، **الطهطاوي والدولة المدنية**، جريدة الأهرام، 2007/4/2، العدد: 43964، القاهرة، مصر.

[27] الطهطاوي، التمدن والحضارة والعمران، مرجع سابق. ص: 79.

وارتيادها للأماكن العامة، ودافع عن تعليم المرأة وقيامها بالأعمال التي يقوم بها الرجال، ولم يكتف بالمناداة بالتطور، بل أسهم في التطوير، فبعد صدور كتابه "المرشد الأمين للبنات والبنين" تم إنشاء أول مدرسة للبنات وهى مدرسة السيوفية التي أنشأتها زوجة الخديوي إسماعيل (جشم ألفت هانم) في عام 1873م[28].

وفي سنة 1873م كان الطهطاوي قد بلغ الثانية والسبعين من عمره، ودب في جسده الوهن، فتوفي يوم الثلاثاء 27 أيار سنة 1873م الموافق غرة ربيع الثاني 1290هـ، بمنزله في القاهرة، ودفن بالقرافة الكبرى عند جبل المقطم في بستان العلماء؛ مخلفاً تاريخاً ثميناً، وثروة فكرية، ومكتبة لا تزال الأهم في صعيد مصر، وأراضٍ وعقاراتٍ كثيرةً في بلده طهطا والقاهرة[29].

- **أهم مؤلفات رفاعة الطهطاوي**[30]:

1. تَخْلِيص الإبريز في تَلْخِيص باريز: ويسمى هذا الكتاب أيضاً "الديوان النفيس بإيوان باريس"، وهو الذي صور فيه الطهطاوي رحلته إلى باريس، وتقدم به إلى لجنة الامتحان في العام 1830م.
2. مباهِج الألْبابِ المِصريّةِ في مَناهِج الآدابِ العصريّةِ: وقد خصصه الطهطاوي للكلام عن التمدن والعمران، طبع في حياته سنة 1869م.
3. المرشِد الأمِين للبنَاتِ والبنَين: خصصه الطهطاوي لفكره في التربية والتعليم وآرائه في الوطن والوطنية، وطبع في العام الذي توفي فيه 1873م.
4. أنوار توفيق الجليل في أخبار مصر وتوثيق بني إسماعيل: وهو الجزء الأول من الموسوعة التي كان قد عزم الطهطاوي على تأليفها، وفي هذا الجزء يتكلم عن تاريخ مصر القديمة حتى الفتح الإسلامي، وطبع في حياة المؤلف سنة 1868م .

[28] بهجت أحمد، **النهضة بعصر إسماعيل**، جريدة الأهرام، 2007/11/15، العدد: 43123، القاهرة، مصر.
[29] الطهطاوي، التمدن والحضارة والعمران، مرجع سابق. ص: 41.
[30] العطية جليل، **رفاعة الطهطاوي: ماذا يبقى منه؟**، ندوة مجلة العربي: الغرب في عيون عربية، 27- 2003/12/29، الكويت.

5. نِهايةُ الإِيجازِ في تَاريخ ساكِن الحِجاز: كتاب في السيرة النبوية.
6. رسالة جغرافية بلاد الشام. (**موضوع هذا البحث**).
7. عشرات الكتب والبحوث والقصائد والمنظومات الشعرية.. من علـوم شـرعية ولغوية، وأشعار في الوطنية، ومدح الولاة وغير ذلك.

- **أهم المترجمات التي قام بها الطهطاوي**:

1. تاريخ القدماء المصري، طبع 1838م.
2. قانون التجارة الفرنسي، طبع سنة 1868م.
3. القانون المدني الفرنسي، طبع سنة 1866م.
4. كتاب قلائد الفلاسفة، طبع سنة 1836 م.
5. مبادئ الهندسة، طبع 1854م.
6. المنطق، طبع 1838م.
7. روح الشرائع لمنتسكيو، لم يطبع.
8. أصول الحقوق الطبيعية التي تعدها الإفرنج أصلاً لأحكامهم، لم يطبع.
9. كتاب جغرافية العمومية: وهو كتاب (ملطبرون)، ترجم منه رفاعة الطهطـاوي أربعة مجلدات من ثمانية، وطبع من دون تاريخ.
10. عشرات الكتب والبحوث التي كتبها بنفسه أو أشرف عليها.

رفاعة الطهطاوي فكراً ودعوةً:

ولد رفاعة في العام الذي جاء فيه محمد على إلى مصر على رأس ألف جنـدي عثماني للمشاركة في مقاومة الحملة الفرنسية على مصر، وتصادف أن يولد رفاعـة لأسرة متوسطة الحال في يوم رحيل جنود الحملة الفرنسية عن مصر، ويرتبط رفاعة بنهضة محمد علي باشا من وعيه، ويستمر فيها مع ابنه وأحفاده ليوم مماته، بدأب وكد

يندر مثيله، وكان نضاله يمثل مرحلة تاريخية مهمة في مسار بناء الدولة الوطنية الحديثة التي بدأها محمد علي في مصر؛ وصنفه المستنيرون بصفته رائداً للفكر الاجتماعي في مقدمة ثلاث قمم أثروا القرن التاسع عشر، مع عبد الرحمن الكواكبي وخير الدين التونسي؛ ووسموه بشمولية النظرة والإحاطة بالظواهر الاجتماعية والسياسية من مختلف جوانبها، ثم الجمع ما بين النظر والعمل والفكر والخبرة الواقعية، فالارتباط بالواقع ثم المزج ما بين أرضية التراث الإسلامي والتعرف على العلوم العصرية الحديثة[31].

ونُسبت انطلاقة الطهطاوي في تفكيره الاجتماعي والسياسي إلى احترام العقل أداة لحل كل مشاكل المجتمع، وذلك بالكشف عن أسبابها وبواعثها، على أن كتابات الطهطاوي عبرت عن فهم مستنير للحضارة الأوروبية، فهو لا يرفضها كما أنه لا يقبلها دون تمحيص، ولكنه يعمل على التفاعل معها؛ ولذلك دعا الأزهر إلى أن يضيف سائر المعارف المدنية إلى جوار علوم الفقه والشريعة، وقد نجح الطهطاوي في شرح أفكاره من خلال عرضها ضمن سياقها التاريخي مع شرح وتحليل الأحداث التاريخية التي عاصرها أو قرأ عنها.

وألبسه المؤيدون لقب (السيد الأمير)[32]، وجعلوه زعيماً للإصلاح الاجتماعي والفكري، ناضل نضالاً مستميتاً في سبيل تحقيق رسالته، على أنه المبشر بالفكر الديمقراطي الليبرالي في ديمقراطية الفكر السياسي كالفصل بين السلطات (التشريعية والقضائية والتنفيذية)، والدعوة إلى تجديد الفكر التشريعي مزاوجاً بين التراث

---

[31] راجع:

- فرج نبيل، **أنور لوقا والكتابة عن مصر الأخرى من بونابرت إلى طه**، جريدة الأهرام، 2003/11/24، العدد: 43683، القاهرة، مصر.
- فرج نبيل، **مظهر التقديس بنشر ثقافة الفرنسيس**، الأهرام، 2006/8/13، العدد: 42663، القاهرة، مصر.

[32] كما سماه الكاتب مهند المبيضين في كتابه: **تجربة البناء الحديثة للدولة المعاصرة** ½، المنشور في القاهرة، 2004. وكما سماه محمد عودة ومحمد شافعي في مقالاتهم على شبكات المواقع الثقافية.

الإسلامي والتشريع الأوروبي، أو ما بين (الأصالة والمعاصرة) من خلال إحياء كتب التراث وترجمة كتب الغرب، وتتلخص الأفكار التي بشر بها رفاعة الطهطاوي في تأكيد فكرة القومية المصرية، وإقامة الدولة العلمانية العصرية التي تفرق بين العبادات والمعاملات وفق القاعدة الشرعية: "**العبادات لا اجتهاد فيها**"[33]، والمعاملات وفق الحديث الشريف: "**أنتم أعلم بأمر دنياكم**"[34]، وبناء المجتمع المصري الحديث على أسس سياسية اقتصادية ثقافية متكاملة.

وبقي الطهطاوي مثار جدل كبير يتناسب مع حياته وإنتاجه الفكري، فبينما عده بعضهم الرائد الأعظم في حركة النهضة العربية الفكرية والثقافية خلال العصر الحديث، كان الآخرون يلقبونه بـ(المؤرخ المدجن)، ويشنون عليه الهجمات بتهمة أنه رائد العلمانية المعاصرة في العالم الإسلامي[35]، وأنه الذي فتح الباب واسعاً أمام الفكر الغربي والثقافة الغربية لتلج بقوة في مجتمعنا العربي والإسلامي بعد ترجمة قوانينها وقواعدها الاجتماعية وخبرتها التاريخية، وقدمها على أنها الحكمة والعدل والإنصاف وسبب لعمران بلادهم وكثرة معارفهم[36]، واستناداً إلى مقولته الشهيرة:

"**وجدتُ عندهم إسلاماً.. ولم أجد مسلمين، ووجدت عندنا مسلمين.. ولم أجد إسلاماً**".

---

[33] يعتمد رواد التجديد باتجاه المعاصرة إلى تفكيك الأصالة إلى أجزاء، ليسهل تقديم أفكار التحديث؛ والقاعدة الأهم في ربط العبادات بالمعاملات هي قوله تعالى: [وَأَقِمِ الصلَاةَ إِن الصلَاةَ تَنْهى عن الْفَحشَاء والْمنكَرِ ولَذِكْر اللهِ أَكْبر والله يعلَم ما تَصنَعون] (العنكبوت: 45) ولتحديد مصادر الاجتهاد وشروطه انظر الجزء الأول من: عابدين محمد أمين (الشهير: بابن عابدين)، **رد المحتار على الدر المختار (حاشية ابن عابدين)**، دار الثقافة والتراث، دمشق، سورية، 2006. مج1.

34 أخرجه مسلم عن أنس في كتاب الفضائل- باب وجوب امتثال ما قاله صلى الله عليه وسلم؛ (مسلم- 2363).

[35] كما سماه أبو فهر محمود شاكر وآخرون من نقاده في مقالاتهم على شبكات المواقع الثقافية.

[36] الشيال جمال الدين، **رفاعة المؤرخ، مهرجان رفاعة الطهطاوي**، ديسمبر 1958، مطبوعات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، القاهرة، مصر،1960. (ص: 119–127).

علم الجغرافية ورسالة رفاعة:

الجغرافية كلمة يونانية معربة، بمعنى: علم تقويم البلدان، وتعرف أيضاً بأنها علم يعنى بأحوال الأرض وظواهرها الطبيعية[37].

نشأت الدراسات الجغرافية بمفهومها العلمي بين العرب في فجر الإسلام، وشملت الجغرافية الفلكية والطبيعية والسياسية والاجتماعية، نظراً لارتباط هذه الدراسات بالمسائل الفقهية كتعيين القبلة للصلاة ومعرفة الدروب المؤدية إلى بيت ا الحرام، والتنظيمات الإدارية وغيرها[38].

أسهم العلماء المسلمون في إتمام حلقة مهمة من سلسلة تطور علوم الجغرافية بجهد وجلدٍ عظيمين، من خلال قيامهم بالكثير من الرحلات والأسفار بقصد نشر الإسلام والتجارة والتعلم والحج والزيارة واستكشاف خريطة الأرض للشريف الإدريسي.



بلاد جديدة لأهداف سياسية وعسكرية واقتصادية؛ وانتشرت قوافلهم في أرجاء اليابسة، وخاضت سفنهم أقاصي البحار والمحيطات، وازدهرت على أيديهم الطرق

---

[37] الموسوعة الثقافية، بإشراف د. حسين سعيد، دار المعرفة، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة- نيويورك، 1972. ج1. (ص: 342).

[38] لويس ماسينيون وآخرون، **دائرة المعارف الإسلامية**، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الشارقة، الإمارات العربية،1998. ج12. ص:82.

التجارية بين الصين وآسية الوسطى وسواحل بحر البلطيق والأندلس وشواطئ المحيط الأطلسي والبحر الأبيض المتوسط وساحل إفريقية الشرقي وجزر المحـيط الهنـدي وصحارى السودان.

ويشهد التاريخ العلمي للمسلمين ما بين القرنين الثالث والتاسع للهجرة إنجازاتٍ عظيمةً تجلّت في تدوين أخبار كثيرة على شكل أدب رحلات مثل رحلات ابن فضلان وابن جبير وابن بطوطة، أو على شكل وصف وتقويم للبلدان مثـل: ابـن خرداذبـه والبلخي والإصطخري وابن حوقل والشريف الإدريسي (بطليموس) وياقوت الحمـوي وغيرهم الكثير، طبعت كتبهم وترجمت ودرست، وتدرس على منابر العلم والمعرفـة بالعالم، ومن إنجازاتهم المهمة ما قام به الخوارزمي في النصـف الأول مـن القـرن التاسع الميلادي إبان حكم المأمون عندما رسم خريطة للسماء والأرض، وقام بمحاولة ناجحة لقياس محيط الأرض على أنها كرة، من موقع (سنجار) في الشـمال الشـرقي لمدينة تدمر، فيما كان الأوروبيون يعتقدون أن الأرض مسطحة، ويعدون البحثَ فـي المظاهر الكونية خروجا على الدين.

وخلال هذه المرحلة قام المقديسي برحلات طويلة دونها بما يمكـن أن يسـمى "دائرة معارف" في الجغرافية، وصف فيها بدقة جميع الأماكن التي زارها[39].

وفي أواخر القرن التاسع أوائل العاشر تُرجم إلى اللغة العربية كتـاب جغرافيـة بطليموس، وتلا ذلك ظهور عدد من الدراسات الجغرافيـة ارتبطـت فيهـا دراسـة الجغرافية بالتاريخ أو بعلم تخطيط البلدان أو بالدراسات الاقتصادية أو بالسياسـية، أو بالمناخ والبيئة، أو بمكونات الطبيعة.

[39] المسلم إبراهيم، **إطلالة على علوم الأوائل**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة- مصر، 2006. ص:134.

وفي مطلع القرن الحادي عشر نشر البيروني كتابه عن جغرافية روسيا وشـمال أوروبة وفي هذا القرن نفسه استطاع الزرقالي أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى أن يضـع أطوال البحر المتوسط بتقدير قريب جدا مما هو معتبر الآن وفق أدق الدراسات. وفي سنة 1290م صنع قطب الدين الجغرافي خريطة للبحر الأبيض المتوسط، وقدمها إلى ملك إيران؛ ووضع أبو الفداء أمير حماة كتاب "تقويم البلدان" الذي تُرجم إلى اللاتينية في القرن الثامن عشر، وكان مرجع كثير من علماء الغرب[40]. فضلاً عمـا وضـعه العرب من معلومات جغرافية لا تزال معينًا للباحثين والدارسين؛ فقـد كـانوا معبـرا انتقلت بواسطته إلى أوروبة أفكار اليونان الجغرافية والفكرة الهنديـة عـن صـورة الأرض، وعقيدة استدارة الكرة الأرضية، والنظرية الصائبة عن أسباب المد والجزر؛ يضاف إلى ما سبق مساعدة العلماء العرب أعلام الرحالة الغربيين في مجاهل إفريقية والمحيط الهندي واكتشاف رأس الرجاء الصالح، ومساعدة الحمـلات علـى إنجـاز بحوثها ورحلاتها العلمية ككتاب وصف مصر الخاص بحملة نابليون.

لا تزال المكتبة العربية تحتفظ بنوادر المخطوطات التـي لـم يـتم تحقيقهـا أو التعريف بها، ففي فهرس مخطوطات علم التاريخ لمعهد مخطوطات الجامعة العربيـة بالقاهرة وجدت رسالة بعنوان "جغرافية بلاد الشام" لرفاعة رافع الطهطاوي، صـنفها المستشرق الألماني كارل بروكلمان (1956) برقم 731/2 في مواضيع الجغرافية في كتابه تاريخ الأدب العربي، صورتها عام 1948 بعثة تصوير مخطوطات إلى محافظة سوهاج، برقم 315 ضمن مجموعة مهمة ونادرة من مخطوطات مكتبة رفاعة رافـع الطهطاوي يبلغ عددها 540 مخطوطاً مصوراً، وصنفت في مصورات المعهد بـرقم /سوهاج 28 جغرافية/.

---

[40] المرجع السابق. ص: 169.

وتأخذ رسالة رفاعة الطهطاوي قيمتها العلمية بوصفها إسهاماً في علم الجغرافية وفي علم التاريخ، وتزداد أهميتها من خلال المنهجية المتبعة في إنجازها، ومن نوعية المعلومات المدرجة فيها، ومن أنها تفصح عن الهدف من أعمـال البعثـات العلميـة المرافقة للحملات الأجنبية على البلاد.

ومضمون رسالة الطهطاوي يقع في عموميات الموقع الجغرافي دون التمحيص فيه، إلا أن الجغرافية عنده ارتبطت بالتاريخ دائماً، فالأحداث تم تصـويرها بأسـلوب العرض القصصي للتوراة، والمواقع فسرت بأسلوب المقارنة الحية مع مناطق أخرى من العالم، وكأن الكاتب يخاطب متخصصين في جغرافية بلاد الشـام، ويقـوم هـو بعرض الحقائق المادية لتاريخ المناطق في بلاد الشام.

واستندت الرسالة في أجزاء منها إلى الوصف الأدبي عبر تعداد الميزات المكانية الطبيعية للمواقع دون التوضيح الشكلي بالرسم، مع التركيز علـى إظهـار جوانـب متناقضةٍ بالغة الأهمية تتعلق بتغير السلوك الثقافي والاجتماعي لمجموعـات سـكان المناطق، وبمفهوم الأقليات والأكثرية والفروقات المذهبية بينها.

أضف إلى ذلك تَوفر منهجٍ تاريخي مطول سرد من خلاله تعاقب الأقوام علـى البلاد، وسياسة تعاملهم مع السكان، ولم تتضمن الرسالة معلومات استكشافيةً يمكن لها أن تضيف جديداً عن جغرافية المنطقة أو عن تاريخها، بل كانت توضح بجلاء رأيـاً اغترابياً عن هذا الموقع من العالم.

والأمثلة كثيرة لإثبات دقة ما سبق، إلا أن الأهم كان ما تضمنته الرسـالة مـن وصف للطوائف والمعتقدات، ووصف فلسطين بأرض اليهود كما جاء فـي الصـفحة رقم 13 من مقدمة مخطوط الرسالة، وفي العودة إلى الجـذور العبرانيـة كاحتمـال لتصوير نشأة المدن والمناطق المأهولة كما في حماة وغيرها، ولعل هـذا يمكـن أن يعزى إليه أسباب تأخّر أو تجنب نشر هذه الرسالة.

وتأتي أهمية الرسالة في أنها غير مطبوعة وغير محققة، وفي أنها تثبت أهمية الجغرافية والتاريخ للحملات الأجنبية كقاعدة بيانات لآليات التعامل مع هذه المناطق؛ فلا شك في أن حوار تقسيم الهلال الخصيب عام 1915 ما بين مارك سايكس البريطاني، وجورج بيكو الفرنسي بقصد الاتفاق على تقسيم المناطق التي كانت خاضعة للسيطرة العثمانية وهي سورية والعراق ولبنان و فلسطين إلى مناطق تخضع للسيطرة الفرنسية وأخرى تخضع للسيطرة البريطانية، كانت تستند إلى دراسات الجغرافيين الأجانب والتي ترجم منها رفاعة هذه الرسالة، ويتأكد ذلك من خلال مقارنة المسارات التي ذكرت في الرسالة مع خريطة تقسيم اتفاقية سايكس بيكو للمنطقة.

وقد اعتمد الطهطاوي في وضع رسالته على النقل من عدد محدود من المصادر المهمة، كان ينقل منها حرفياً، ومرات كان النقل يتم بتصرف بهدف الاختزال، واستخدم الإسرائيليات من قصص الأنبياء بلا حرج ولا تعليق، وكان يستشهد في التأكيد على أسماء الأمكنة من التوراة، كما ورد في الصفحة التاسعة من مقدمته، واعتماد الإنشاء اللغوي في خطابة تفيد إجراء المقارنة الفكرية دون تأكيد حقيقة ثابتة؛ فكان يستعرض ما ترجمه من نصوص دون ذكر لترجيح أو تقييم أو دمج أو تحليل.

كما أن الطهطاوي أهمل ذكر مدنٍ كثيرة، واكتفى بما يشبه خطوط سير لرحلة رئيسية في بلاد الشام، وتجاهل معالم جغرافية وعمرانية مهمة في المناطق التي تعرض لوصفها فلم يأت حتى على ذكر الجامع الأموي في دمشق وكان يذكر سوقاً مهمة فيها دون تسميتها، وأخطأ في أسماء بعض المناطق والمدن والأنهار، وقد يعود ذلك لعدم معاينته العملية لما يتحدث عنه، فهو لم يزر بلاد الشام قط؛ ويظهر بجلاء تمسكه بأمانة المترجم، فكان باستمرار يبدأ الفقرات وينهيها بوضوح، عازياً إياها للأصل، معتمداً على ثقافة القارئ في التاريخ القديم وفي المعطيات الجغرافية للمناطق الأوروبية التي كان يقارن فيها ما استعرضه من مثيلتها في جغرافية بلاد الشام.

وتجدر الإشارة إلى أن الموضوع الجغرافي لا بد أن يكـون نتيجـةً لمشـاهدةٍ ومعاينة، كما ذكر في الحديث عن الجغرافيين والرحالـة المسـلمين، ولا يمكـن أن يستنبط من خلال الترجمة والتمحيص في المراجع العلمية؛ ولعل هذه الرسالة كانـت نواةً لمؤلف أكبر كان الطهطاوي ينوي وضعه عن بلاد الشام بعد زيارتها حتماً، ومـا يؤكد ذلك: أنها المخطوط الوحيد بهذا العنوان في العالم، ولم ينشرها في حياته كتابـة أو طباعة، وأن الطهطاوي خلّف كتباً ذات قيمة علمية في مجلدات ولم يعـرف عنـه كتابة الرسائل والموضوعات المختصرة؛ وعلى هذا يمكن الجزم أن هذه الرسالة كانت مسودة لعمل أكبر، وأن الشيخ ما كان لينشرها دون تعديلها.

وعموماً فإن الرسالة بنيت من **أربعة مصادر جغرافية هي**:

1- الجغرافية العمومية Geographic Universelle، لمالطبرون Malte Brun(1775-1826).[41]

Malte- Brun, <u>Conrad ،Précis de la géographie universelle ou Description de toutes les parties du monde sur un plan nouveau d'après les grandes divisions naturelles du globe</u> ، 5e éd. rev., corr., mise dans un nouvel ordre, et augm. de toutes les nouvelles découvertes / par M. J.-J.-N. Huot، Paris : au bureau des publications illustrées, 1845-1847.

2- قاموس في ذكر البلدان لمسلين.

3- تقويم البلدان لأبي الفداء الملك المؤيد عماد الدين صاحب حماة.

4- نزهة المشتاق في ذكر الأمصار والأقطار والبلدان والجزر والمدائن والآفاق للشريف الإدريسي.

---

[41] تم الحصول على نسخة مصورة من الكتاب عن طريق الموقع الآتي:
**www.britannica.com/EBchecked/topic/686338/Precis-de-la-
- geographie-universelle.**

واعتمد على **كتابين في التاريخ هما**:

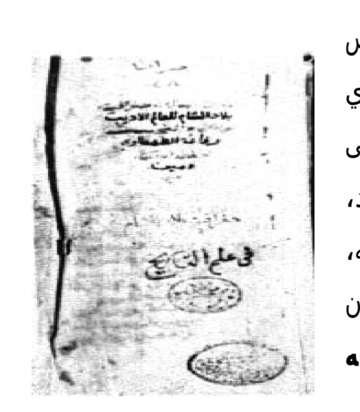
1- تاريخ القدماء Ancient History ، للمعلم رولين Charles Rollin (1661-1741)[42] .

Rollin- Charles, <u>Histoire ancienne des Egyptiens, des Carthaginois, des Assyriens, des Babyloniens, des Mèdes et des Perses, des Macédoniens, des Grecs,</u> Document numérisé en mode texte. - P. 467-852 du doc. original. - Texte daté de 1738, d'après Frantext, Num. BNF de l'éd. de : Paris : INALF, 1961- (Frantext ; Q489, 492Reprod. de l'éd. de : Paris : Vve Estienne, 1740.

2- كتاب الخزانة المشرقية لدربلو.

المخطوط المعتمد في التحقيق:

تتألف هذه الرسالة من مئة صحيفة (50 ق) قيـاس 15.5×21.5 سم، مهرت صفحات منها بختم بيضـوي (مكتبة الأمير فاروق بسوهاج)، تحتوي الصـفحة علـى 17سطراً، وهي نسخة جيدة، كُتبت بخط نسـخ معتـاد، وذكر في وصفها بأنها بخط المؤلف، وقد قوبلت عليـه، وكتبت بعض هوامشها التي توضح أنهـا إضـافة مـن القارئ حين قابلها عليه، يختمها كل مرة بقولـه: "**منـه حفظه ا** ".



الصفحة الأولى من المخطوط المعتمد

<u>وتبدأ</u>: "**حمداً لمن سهل المسالك، وملك الممالك .. أما بعد؛ فيقول رفاعة: هذه رسالة صـغيرة، تتعلـق بجغرافية بلاد الشام، أي تخطيط أرضها؛ استخرجتها**

[42] تم الحصول على نسخة مصورة من الكتاب عن طريق الموقع الآتي:
- k17 – en.wikisource.org/wiki/Catholic_Encyclopedia(1913)/Charles_Rollin.

من كتب فرنساوية وعربية "،

وتنتهي: "**ولو كان بيدي شيء من غزوات نـابليون في بلاد الشام، لأتحفت هذه الرسالة بنبـذة لطيفـة، تتعلق بحرابة الفرنساوية في هذه البلاد. وفـي هـذا القدر كفاية**".

ويمكن التعليق عليها بعد صفحة العنوان، على أنها ذات شـكل تقليـدي للكتـب التراثية، بدأت بمدخل البسملة والصلاة على النبي صلى ا عليه وسـلم، والتعريـف بالرسالة وبمؤلّفها وعزوها إلى المراجع واستعراض لأجزائها، ثم تبدأ المقدمة يليهـا ثلاثة أبواب وخاتمة على الشكل الآتي:

1. **المقدمة**:

اهتمت مقدمة الرسالة بوصفٍ إجمالي لبلاد الشام من حيث موقعهـا وحـدودها ومساحتها وعدد السكان فيها، وتعداد الميزات الطبيعيـة فيهـا مـن جبـال وأنهـار وبحيرات، وأشكال المناخ فيها مع ربطه بالمنتج الزراعي والحيواني، وينتقل لوصف التنوع العرقي الذي توفر في المنطقة بتأثير تعاقب أجناس الاستعمار، مـع وصـفٍ لمظاهر طائفية سكان المناطق، وتأكيدها بتعداد اللغات المسـتخدمة، ورسـم صـورة ذهنية لتوزع جغرافي طائفي مناطقي، يظهر إعجابه فيه وتعجبه من تجمعه في هـذه البقعة من الأرض؛ وينهي المقدمة ببيان التقسيم السياسي الإداري لبلاد الشام وتوزعها ما بين أربعة باشاوات: دمشق، حلب، طرابلس، عكة.

2. **الباب الأول في إيالة دمشق ويتضمن فصلين**:

- **الفصل الأول في أرض القدس:** يبدأ فيه رفاعة بسـرد تـاريخي جغرافـي لأحداث مهمة من سيرة السيد المسيح عليه السلام، يليه وصـف جغرافـي للمنـاطق والمدن بدءاً من نابلس فالخليل وغزة، ويخصص معظم هذا الفصل لوصـف القـدس

ومحيطها الجغرافي وأهميتها التاريخية بالنسبة للعالم وما نجم عن ذلك من صراعات. ويؤخذ على رفاعة في هذا الجزء تعرضه لانتصارات نابليون وبطولاته عام 1799 على عسكر الترك دون مسوغ يتناسب مع موضوع الرسالة؛ كما يؤخذ عليه التعرض إلى مقاطع من تاريخ المنطقة من وجهة نظر عبرية أقر هو بعدم صحتها وقلة أهميتها.

- **الفصل الثاني في بقية إيالة دمشق:** ويبدأ بذكر دمشق قاعدة الباشا والتي تناولها رفاعة بأسلوب متميز، فأعاد نشأة تسميتها إلى الرومانيين، ووصف غوطتها وزراعتها وأنهارها وتجارتها وصناعتها وعمرانها، وموقعها الجغرافي ومناخها، وينهي الفصل بوصف مختصر لموقع مدينة بعلبك ومعبدها.

3. **الباب الثاني في إيالة عكة وطرابلس ويتضمن فصلين**:

- **الفصل الأول في أمم جبل لبنان:** ويبدأ بتحديد الموقع الجغرافي، وعدد سكانه، وتعداد ميزاته الطبيعية والزراعية والحيوانية، وينتقل إلى سرد تفصيلي للطوائف الدينية من حيث المعتقدات والنشأة والتبعية والحياة الاجتماعية والاقتصادية والنظام السياسي المتبع في إدارة طوائف المنطقة.

- **الفصل الثاني في بقية إيالة عكة وطرابلس**: ويبدأ فيه بسرد تاريخي لنشأة مدينة عكة، ثم ينتقل إلى وصفها جغرافياً، ويتابع الفصل من خلال استعراض تاريخي جغرافي لمدينة صور وصيدا ويربطهما دائماً بالعمق الاستراتيجي لمدينة دمشق،ثم يذكر بيروت بأهمية تاريخية تقل عن المدن السابقة معتبراً إياها مركزاً تجارياً للموارنة والدروز أسسها الأمير فخر الدين، وينهي الفصل بوصف جغرافي تاريخي موجز لمدينة طرابلس وجزيرة أرواد ولاطاقيا (اللاذقية).

4. **الباب الثالث في إيالة حلب**:

ويبدأ الباب بوصف أدبي للخصائص الاجتماعية لسكان مدينة حلب، وينتقل إلى استعراض تاريخي لتأثرها بضربات الزلازل، ثم ينتقل إلى تحديد موقعها الجغرافي وتعداد المعطيات السياسية والميزات الطبيعية والزراعية والصناعية، ويستعرض تالياً

قنسرين وأنطاكية وميناء إسكندرون، ويخصص في هذا الفصل جـزءاً غيـر قليـل لوصف الحمام الزاجل وطرق استخدامه كبريد لإرسال الأخبار، كما استعرض المعالم التاريخية والأثرية لمدينتي حمص وأفاميا من خلال سرد تاريخي موجز مدعم بوصف جغرافي طبيعي؛ وينهي الفصل بربط السرد السابق بتاريخ مدينة حمـاة مـن زمـن العبرانيين والملك سليمان، فزمن الملك المؤيد عماد الدين أبي الفداء، مع التنويه إلـى أن حماة هي عين حموت المذكورة في الإصحاح الحادي والعشرين من كتاب يوشـع عليه السلام.

5. **الخاتمة**:

أتت الخاتمة على شكل سرد تاريخي منقولٍ عن المعلم رولين صـاحب "تـاريخ القدماء"، وصف فيها دخول الإسكندر الأكبر إلى سواحل بلاد الشام من غيـر قتـال باستثناء مدينة صور التي لم يدخلها إلا بعد حصارها مدة سبعة أشهر، وبـدعم مـن سكان المدن المجاورة المحليين، أظهر فيها رفاعة الاختلافات التي يمكن للاسـتعمار استغلالها للتوغل وإضعاف شأن سكان المنطقة.

وينهي رفاعة كلامه بتأسفه لعدم إتحافه هذه الرسالة: "**بنبذة لطيفة تتعلق بحرابة الفرنساوية في هذه البلاد؛ وفي هذا القدر كفاية، وأستغفر ا العظيم من كـل ذنـب عظيم. وصلى ا على سيد الأولين والآخرين، وبه نصر دينه القويم وأيده إلى يوم الدين، آمين آمين آمين**".

تحقيق أجزاء من متن المخطوط المعتمد:

رسالة في جغرافية

بلاد الشام للعالم الأديب

رفاعة الطهطاوي

رحمه ا

آمين



الغلاف صفحة رقم 1 صفحة رقم 2 صفحة رقم 2 صفحة رقم 41 آخر صفحة من المخطوط

بسم ا الرحمن الرحيم

حمداً لِمن سهل المسالك وملّك الممالك، وصلاةً وسلاماً على رسوله الهادي إلى الصراط المستقيم، وعلى آله وصحبه التابعين لدينه القويم.

أما بعد؛ فيقول الفقير إلى الكريم النافع رفاعة بدوي رافع: هذه رسالة صغيرة تتعلّق بجغرافية بلاد الشام أي: تخطيط أرضها، استخرجتها من كتب فرنساوية وعربية، وعولتُ فيها على كتاب "جغرافية ملطبرون"[43]، وعلى "قاموس مسلين في ذكر البلدان"[44]، وما يتعلّق بها، تنفع لمن أراد أن يقابل هذه الأراضي بما قاله فيها الجغرافيون، وأن يحقق على المحل نفسه هذه الأشياء؛ أهديتُها لولي النعمة أمير الزمان إهداء النملة ما في فِيها لسيدنا سليمان، ورتبتُها على:

---

[43] كتاب الجغرافية العمومية Geographic Universelle، لمالتي برون Malte(1775-1826) Brun. ترجم منه رفاعة الطهطاوي أربعة مجلدات من ثمانية، وطبع من دون تاريخ. وهو من أهم الرحالة البريطانيين الذين زاروا مصر في عام 1792 في طريقه إلى الحبشة. (الطهطاوي، التمدن والحضارة والعمران، مرجع سابق. ص: 71).

[44] **مسلين**: لم نتمكن من ترجمته.

مقدمة تتعلّق بعموم بلاد الشام، وتخطيطِ أرضها وأنهارها وجبالها وبطيحاتها[45] الأصلية، وما يخرج فيها من النباتات والمعادن والحيوانات. وعلى ثلاثة أبواب:

الأول في إيالة[46] دمشق، و فيه فصلان:

الفصل الأول في أرض القدس.

الثاني: في بقية إيالة دمشق.

الباب الثاني في إيالة عكا وطرابلس، وفيه فصلان:

الفصل الأول: في أمم جبل لبنان المسمى أيضاً "جبل الدروز".

الثاني: في بقية إيالة عكا وطرابلس.

الباب الثالث في إيالة حلب.

وعلى خاتمة تتعلق باستيلاء الإسكندر الأكبر الرومي (ابن فليش)[47] على هـذه البلاد استخرجتُها من "تاريخ القدماء" للمعلم رولين[48]، وربما أحوج الأمر إلى وضع بعض الأماكن بالاسم الإفرنجي حتى يتيسر الوقوف على الاسم العربي.

وأسأل ا تعالى التوفيق.

---

[45] **بطحيات**: جمع بطحة، والبطحاء من الأرض مسيل فيه دقاق الحصى، فإن عـرض واتسـع سـمي أبطَح. وفي تهذيب اللغة للأزهري الأبطَح: بطْن الوادي وهو البطْحاء، وهو التراب السهل في بطونها مما قد جرته السيول. (لسان العرب ج1، ص: 428).

[46] **إيالة**: الولاية. وقد كانت المنطقة مقسمة إلى نيابات زمن المماليك، ثم حول العثمـانيون(1516 – 1918) تسميتها إلى صناجق، وأعيد تقسيم بلاد الشام إلى إيالات، وألحقت بكل إيالة وحـدات إداريـة تسمى "صناجق". (الحنبلي: 38).

[47] **الإسكندر الأكبر** (320ق.م): هو الإسكندر الثالث (ÌÝãáò ëÝîáíäñïò ميغاس أليكساندروس) المقدوني: حاكم مقدونيا، قاهر إمبراطورية الفرس، وواحد من أذكى وأعظم القادة الحربيين على مر العصـور. ولـد الإسكندر في بيلا، العاصمة القديمة لمقدونيا؛ وكان أرسطو المعلم الخاص له. (الدبس، 1998: ص104).

[48] **كتاب تاريخ القدماء** Ancient History ، تشارلز رولين Charles Rollin (1661-1741). تم ذكره في الصفحة /8/ من هذا البحث.

المقدمة:

في الكلام على الشام، وتسمى من حيث هي؛ وفي تخطيطها "إجمال الشام"[49] وتسمى بالتركية "سورستان"[50]. وسورية محدودةٌ جهة الشمال الشرقي بنهر الفرات، وجهة الشمال بجبل أمانوس المسمى "جبل المداغ"، وجهة الغرب بالبحر الأبيض المسمى أيضاً "بحر الشام"، ومن جهة الشرق تختلط براريها ببراري بلاد العرب حتى اختلف على الجغرافيين من المتقدمين والمتأخرين في تحرير الحد بينهما برسم خط معلوم يفصل إحدى الأرضين من الأخرى؛ فقال المتقدمون: إن الحد هو مدينة تدمر - التي هي مدينة سليمان عليه السلام- ودمشق والبحيرة الميتة المسماة بحيرة لوط[51]. وقال المتأخرون: إن الأظهر كون آثار تدمر ليست من الشام في شيء، وإن الأقرب كونُها من أرض العرب. واستظهر بعض المتأخرين؛ وقال: إنه الأصوب أن يكون حدها من جهة الجنوب خطاً هندسياً يعرض من طرف بركة لوط إلى مصب وادي العريش ليكون فاصلاً بين الشام وبلاد العرب من جهة، وبينهما وبين مصر من جهة أخرى. (انتهى ملطبرون).

وقال مسلين في معجم بلدانه المسمى "قاموس الجغرافية الفرنساوية": الشام بين البحر الأبيض والفرات، وحدها جهة الشمال جبلُ الموصل[52] وشعبه المتفرعة

[49] **بلاد الشام**: اسم أطلقه العرب منذ القرن الرابع أو الخامس للميلاد على عموم الأراضي الممتدة من الفرات شرقاً إلى المتوسط غرباً، ومن حد بر الأناضول عند جبال طوروس شمالاً إلى حد مشارف سيناء جنوباً. وكان العرب القدماء يميزون بين مواطنهم الشمالية ويسمونها الشامية، ومواطنهم الجنوبية ويسمونها اليمنية. والفاصل بينها رمال النفوذ وما يليها من البادية إلى الشرق والغرب(الدبس، 1998: ص 45).

[50] أطلقت كلمة (**سورستان**)على جنوب ووسط العراق والجزيرة وعلى بلاد الشام. وتتألف الكلمة من مقطعين: سور- ستان، ويعود المقطع الأول إلى اللغة السومرية، بينما المقطع الثاني للآرية. (معجم البلدان،3/ 279) و(الطبري، 391/1).

[51] **بحيرة لوط**: البحيرة الواقعة بين فلسطين وشرقي الأردن، وهي البحيرة الأكثر انخفاضاً في العالم، تحمل أسماء أخرى: بحيرة سدوم، البحيرة الميتة، بحيرة الملح. وهذه الأسماء مرتبطة تاريخياً وواقعياً بالمكان ذاته المعروف بالبحر الميت حالياً. (معجم البلدان،5/ 1)

[52] جبل الموصل: ويدعى بالجودي، وهو الجبل الذي رست عليه سفينة نوح بعد الطوفان حسب الرواية الإسلامية لقصة سيدنا نوح عليه السلام. (راجع التونسي، 1284هـ).

منه وهذا الحد يفصله من بلاد ديار بكر[53] وأنا طولي[54]، وجهة الشرق بـديار بكـر وأرض الوهابية[55] التي تُكّون أيضاً حده من جهة الجنوب من جهة أرض فلسـطين، وحده جهة الغرب بالبحر. (انتهى).

وكانت بلاد الشام تسمى في اللغة السريانية القديمة "أرض أرم"، ولذلك سـمى أميروس[56] شاعر اليونان الشهير أهلها بالآراميين.

وسماها العرب "الشام"، واختلف في ذلك؛ فقال بعضهم: إنها سميت بذلك لأنها في شمال العرب لمقابلتها بأرض اليمن، فإنها في يمينهم، وقد سـمع عـن العـرب شامتان ويمنتان يعني: على اليمين واليسار؛ والمراد بكون الشام في شمال العـرب، واليمين في يمينها إنما هو بالنظر لوضع الكعبة[57].

وقيل: إن الشام جمع شامة، وهي كالخال: علامةٌ بيضاء، أو حمراء، أو سوداء تخالف لون البدن. سميت الشام بذلك؛ لأنها يكثر بها التلول[58] المتلونة بهذه الألوان.

قال مسلين: إن أرضها 3894 ملقة فرنساوية[59] مربعة من غير عـد البريـة الكبيرة، وإن أهلها 1,800,000 نفساً من عـرب وتـرك وأروام ودروز وموارنـة وأعراب، وأكثر أهلها فقراء إلا سكان الثغور[60]. (انتهى).

---

[53] **بلاد ديار بكر**: جاء في معجم البلدان (143/1) "ديار بكر هي بلاد كبيرة واسعة تنسب إلى بكر بـن وائل. وجاء في دائرة المعارف (301/2) "ديار بكر" هي الآن ولاية كبيرة من الممالك العثمانية، يحدها شمالاً ولاية سيواس وأضروم، وجنوباً العراق العربي وبادية العرب، وغرباً سورية. ومدينة ديار بكر قصبة الولاية وهي آميدا القديمة، قره آمد عند الأتراك.

[54] **أنا طولي**: اسم كان يطلق على المنطقة الفاصلة مابين بلاد الشام واليونان، وهي ما تـدعى اليـوم بهضبة الأناضول. (غربال: 231).

[55] **أرض الوهابية**: هضبة نجد في أرض الحجاز، والوهابية نسبة إلى الشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمي مؤسس الحركة الوهابية.

[56] **أميروس**: هو الشاعر الإغريقي هوميروس أو أوميروس صاحب الإلياذة و الأوديسة، يمتدحه الشهرستاني صاحب كتاب (الملل والنحل) بقوله: أميروس الشاعر من القدماء الكبار الذي يجاريه أفلاطون وأرسطوطاليس في أعلى المراتب، ويستدل بشعره لما كان يجمع فيه من إتقان المعرفة ومتانة الحكمة وجودة الرأي وجزالة اللفظ.

[57] يمين الكعبة وشمالها، بالنسبة للخارج من باب الكعبة.

[58] **التلول**: جمع تل، وتجمع تلال، وهي المنطقة المرتفعة من الأرض. (لسان: 46/2).

[59] **الملقة الفرنسية**: هي وحدة قياس تعادل زهاء 5,25 كم، وهي تساوي فرسخاً أو 3 أميال في المصطلحات الإسلامية.

[60] **سكان الثغور**: سكان المدن الساحلية، أو التي يخشى اختراقها من العدو المهاجم. (لسان: 103/2).

ونقل المعلم دربلو[61] صاحب كتاب "الخزانة المشرقية" باللغة الفرنساوية؛ عن صاحب "مساحة الأرض"[62] الذي هو مؤلف أعجمي: أن طول الشام مسافة خمس وعشرين مرحلة[63]، وأنها متباينةُ العرض، وأعظم محل عرضه عشر مراحل. (انتهى).

وجبال بلاد الشام المتواصلة كالسلاسل تتبع في تواصلها وتسلسلها أوضاع برور البحر الأبيض، وليس بينه وبينها إلا نحو ثماني ملقات فرنساوية تقريباً في الأكثر.

وأعلاها رأساً جبل لبنَان[64]، وهو سلسلة جبال ممتدة بين متوازيات عكة[65] وطرابلس، ورأسه المسمى في التوراة[66] حرمون يوجد بين دمشق وبعلبك؛ وهو ينقسم إلى سلسلتين إحداهما غربية تجاه البحر الشامي. والأخرى شرقية بحافة سهل دمشق تسمى عند اليونان سابقاً أنتبلبنان[67] يعني: المقابل لجبل لبنان. وهذا الاسم لا

---

[61] المعلم دربلو الخزانة المشرقية: لم نعثر على ترجمته.

[62] كتاب مساحة الأرض – مؤلف أعجمي: لم نتمكن من الكشف عن الكتاب أو المؤلف.

[63] **المرحلة:** واحدة المراحِل، يقال بيني وبين كذا مرحلة أو مرحلتان . والمرحلة : المنزلة يرتَحل منها، وما بين المنزلين مرحلة، (لسان: 173/5).

[64] جبل لبنان: ويسمى جبل الأرز، وأعلى قمة فيه ترتفع إلى 3088م عن سطح البحر، ويسمى "القرنة السوداء"؛ وهو من السلسلة الموازية لبحر الشام. (معجم البلدان: 452/4).

[65] **عكة**: اسم بلد على ساحل بحر الشام، وهي من أحسن بلاد الساحل وأعمرها، قال أبو عبد ا محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء البشاري: عكة مدينة حصينة كبيرة الجامع فيه غابة زيتون، ويطلق عليها اليوم عكا بالألف رغم أن معجم البلدان (433/3) أشار إلى وجود موضع آخر باسم عكا يختلف عن مدينة عكة. وقد ذكرها الطهطاوي في رسالته في الوجهين.

[66] **التوراة**: كتاب موسى عليه السلام؛ وعن أبي هريرة رضي ا عنه قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول ا صلى ا عليه وسلم: "لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا: {آمنا با وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون} [سورة البقرة: 126]". أخرجه البخاري (انظر: فتح 291/5، 170/8).

[67] كتاب **تقويم البلدان** للملك المؤيد عماد الدين صاحب حماة المشهور بأبي الفداء، طبع الكتاب بدار الطباعة السلطانية، باريس 1850.

يعرف عند العرب، وإنما هو مستعمل في جغرافية الإفرنج، وشهير عندهم في كونه محلا للنزاع. (انتهى ملطبرون).

وفي كتاب "تقويم البلدان" للملك المؤيد عماد الدين صاحب حماة المشهور عند الإفرنج بأبي الفداء: ومنها؛ أي: الجبال جبلُ الثلج وجبل لبنان وجبل اللكام[68]؛ وهي متواصلة كأنها جبل واحد. (انتهى).

قال ملطبرون: إنه يوجد غالبا بجبل لبنان وغيره من جبال الشام آثار صوامع قديمة وقصور عظيمة. (انتهى).

وقال دربلو نقلاً عن المؤرخين: إنه في السنة الثامنة عشرة من الهجرة في خلافة عمر بن الخطاب رضي ا تعالى عنه في زمن فتوح الشام- وكان ذلك الوقت وقت طاعون- وجد في مقبرة تحت الأرض بجبل لبنان جثة سنهريب[69] ملك الموصل جالساً على سرير من الذهب مكتوب عليه باللغة السريانية واللسان الكلداني[70]، ما معناه: أعظم المصائب نسيان الموت والحساب، وقبور الآباء والسلف تذكر الإنسان هذين الشيئين وهو يغفل عنهما. (انتهى).

---

[68] **جبل الثلج**: القمم التي تحتفظ بالثلج من سلسلة جبال لبنان والمقصود بها في النص جبل الأرز. وجبل اللكام: جبل لُكام معروف بناحية الشأم. واللكّام ، بالتشديد، جبل بالشام. قرب أنطاكية. (المسالك والممالك: 25/1)، (معجم البلدان: 388/5).

[69] **سنهريب ملك الموصل**: وهو الملك الآشوري سنحاريب عام (704 ـ 681 ق.م)، كان صاحب دولة قوية قادرة على إنجاز مشاريع عديدة أذهلت العالم، وأبرزها بناءه جسر زاخو الذي قام ببنائه ليكون حلقة ربط العاصمة الآشورية نينوى بالأراضي الأشورية سورية.

[70] **اللغة السريانية**: لغة شرق آرامية تحدثها الناس في بلاد الشام. بالمعنى العام، السريانية هي كل اللغات الشرق آراميا اللواتي يتحدثها جماعات مسيحية على صنفين أحدهما أرمني ويعرفون بالسريان اليعقوبيين والآخر يعرفون بالسريان وهم من الكاثوليك، لكن بالمعنى المفصل السريانية هي لغة مدينة الرها الكلاسيكية التي صارت اللغة الليتورجية للمسيحية السريانية. تكتب اللغة السريانية بالأبجدية السريانية.ذات لهجة أرامية تتحدثها الآن مجموعات صغيرة متفرقة في سورية، تركيا، العراق، إيران، أرمينيا، جورجيا وأذربيجان؛ ولا تزال اللغة السريانية متداولة في البلاد القريبة من دمشق، مثل قرية جبعادين، ومعلولا.

وجبال الشام مؤلفة من حجار جيرية صلدة مبيضة رنانة، ولا تكاد تظهر بها الأحجار الصوانية إلا بالقرب من جبل طور سيناء[71] وخليج العرب.

ويوجد بقرب دمشق غيران وكهوف عظيمة يسع الواحد منها أربعة آلاف رجل[72].

ووادي نهر الأردن تظهر به آثار البراكين؛ أي: جبال النار، وذلك لأن المياه الفعرية المكبرتة الموجودة ببركة لوط المسماة بالبحر الزفتي[73]، وأحجار الخفاف، والسفنج الموجودة على شطوطه بقذفه لها؛ والمياه الحارة من أصل الخلقة الموجودة بطبرية[74] تدل على أن هذا الوادي كان محلا لنيرانٍ لم ينقطع عرقها ولم تخمد إلى الآن، بل بقي منها إلى الآن أثر، وقد شُوهد غير مرةٍ أنه يخرج من بركة

---

[71] **طُور سينَاء**: جبلٌ بالشام، وهو بالسريانية طُورى، والنسب إليه طُوري وطُوراني. وفي التنزيل العزيز: {وشجرةٍ تَخْرُج من طُور سينَاء}[المؤمنون: 20]؛ الطور في كلام العرب الجبلُ، وقيل: إن سيناء حجارة، وقيل: إنه اسم المكان، وحمام طُوراني وطُوري منسوب إليه. وقال الفراء في قوله تعالى: {والطور، وكتابٍ مسطُورٍ}[الطور: 1 و2]؛ أَقْسم ا تعالى به، قال: وهو الجبل الذي بِمدين الذي كلّم الله تعالى موسى، عليه السلام، عليه تكليماً.(معجم البلدان: 300/3).

[72] **غيران**: جمع غار وهو الكهف، وانقلبت الواو ياء لكسرة الغين. (لسان: 156/5).
والكهف: كالمغارة في الجبل إلا أَنه أَوسع منها، فإذا صغر فهو غار، وفي الصحاح: الكهف كالبيت المنقور في الجبل، وجمعه كُهوف. (لسان: 176/12).
والمقصود بالكهوف التي تتسع لأربعة آلاف شخص، الكهوف البركانية مثل مغارة بلدة عريقة أو "أهاريت" اليونانية وتعني ينبوع الماء المتدفق أو العين القوية، اكتسبت شهرة عالمية من خلال مغارتها التي تكونت مع آخر انفجار بركاني في منطقة جبل العرب- السويداء كنتيجة لدخول كتلة غازية داخل المغما البركانية المنصهرة أدت إلى هذا التجويف الذي يبلغ طوله الإجمالي 1460 م وينقسم إلى ثلاثة كهوف طول الواحد منها 450 م يفصل بينها سردابان، وتتراوح سماكة الصخور المحيطة به (7-45) م ويقع إلى جواره نبع يروي القرية وبساتينها. (أبو سعد: 2005).

[73] لأنه يقذف قطعاً من الزفت على شطوطه؛ والزفْت: بالكسر كالقِير؛ والزفْتُ: القَار.(لسان: 55/6).

[74] **طبرية**: طَبر في العربية بمعنى قفز واختبأ، وهي بليدة مطلة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية، وهي في طرف جبل وجبل الطور مطلّ عليها، وهي من مدن الغور الفلسطيني. بناها الإمبراطور هيرودوس أنتيباس عام 20م، فوق موقع قرية رقة الكنعانية، ثم زودها بالمياه من خلال قناةٍ طولها 9 أميالٍ، وتقع إلى الشّمال الشّرقي من فلسطين؛ وتقع أيضا على طريق القوافل التّجارية، بين دمشق ومصر. وتتميز بهوائها الجاف الصحي ووفرة مياهها المعدنية التّي تنبع من جهاتٍ مختلفةٍ قرب ساحل البحيرة، حيث تُعد من أهم مناطق الاستشفاء. (المسالك والممالك: 24/1)، (معجم البلدان: 136/1).

لوط كثير من الدخان، وأنها تفتحت من جهة شطوطها مرات عديدة وحصل منها تنافيس.

قال إسترابون[75]: إن حديث أهل هذه البلاد يدل على أن وادي بركة لوط كان به في سالف الأزمان ثلاث عشرة مدينة عامرة زاهرة، وأنها ابتلعتها الأرض عند زلزلة حصلت.

ونقل أيضا إسترابون عن إيراطسطينوس أن هذا إنما وقع بمحض انخساف[76] فقط وانقطع الهيجان من مدة مستطيلة، وبقي تحرك الزلازل بعض الأحيان، وأكثرها على الشطوط، ويشهد لذلك تغير صورة أنطاكية واللاذقية وطرابلس وبيروت وصيدا وصور عدة مرات.

ومن نحو أربعين سنة وقعت زلزلة عظيمة حصل منها ضرر عظيم، يقال: إنه مات بها في وادي بعلبك ما ينوف عن عشرين ألف نفس، وخسارتها لم تجبر إلى الآن، ولم تعوض. وقد أفادت التجربة أن الزلازل إذا وقعت لا تحصل في الغالب، إلا في فصل الشتاء عقب أمطار الخريف. (انتهى ملخص عبارة ملطبرون).

وقال في محل آخر، في تخطيط بركة لوط: إنه يوجد في شرق بلاد فلسطين[77] سلسلتا جبال يابسة بين حيطانهما المسودة وادٍ غاير، أرضه طينية مشوية بالقفر[78] والملح- والقفر مادة شبيهة بالقار، أو هو القار بعينه- ويشم من هذه الأرض الطينية روائح الكبريت أيضاً. وهذا الوادي هو وادي البحيرة الميتة المسماة بركة لوط.

---

[75] **إسترابون** Estraboon : هو جغرافي يوناني ولد في آسية الصغرى سنة 58 قبل الميلاد، وتوفي سنة 21 أو 25 ميلادية، وهو مؤلف كتاب ثمين اسمه "جغرافية". (الموسوعة العربية: مج2).

[76] **الانْخِساف**: مطاوع خَسفْتُه فانْخَسف. وخَسف الشيء يخْسِفُه خَسفا: خَرقَه. وخَسف السقْفُ نفْسه وانْخَسف: انْخَرقَ. وبئر خَسوفٌ وخَسِيف: حِفِرتْ في حجارة فلم ينقطع لها مادة لكثرة مائها، والجمع أَخْسِفة وخُسف. (لسان: 91/4).

[77] **بلاد فلسطين**: في الأصل المخطوط كتبت (بلاد اليهود): حسب زعمهم فيما يزعمون من أرض الميعاد، والمؤلف ترجم حرفية ما نقله عن ملطبرون دون التعليق عليه.

[78] **القفر والقار**: شيء أسود يطْلى به السفُن والإبِلُ والجرار والأواني، أو هما الزفْتُ.(لسان: 253/11).

والقفر يرتفع على وجه الماء من هذه البحيرة، ويؤخذ من شطوطها. وقد كانوا في سالف الزمان يذهبون بالقوارب ليلتقطوه من وسط البحر؛ ولـم يجـرب السـير بالسفن فيه أحد من أرباب السفر من الإفرنج مع أن هذا أحسن الوسائط في معرفته.

وقد نص كثير من الجغرافيين على أنه لا يعيش في هـذا البحـر شـيء مـن السمك، أو أم الخُلول[79]؛ وأنه يتصاعد منه أبخرة كريهـة الرائحـة مضـرة لصـحة الحيوانات، ولا يسمع بشطوطه أصوات الطيور لخلوها من الأشياء التي تجاب الطيور.

واستظهر بعض علماء الطبيعة الأرضية أن هذا البحر كان في أول الأمر غوطةً خصبة بعضها معلّق على ماء تحتاني يعني تحت الأرض، وبعضها مؤلف من راقات نفطية[80] فنزلت نار جوية[81]، واشتعلت بهذه المواد السريعة الاحتراق فابتلعت المياه التحتانية هذه الأرض الخصبة.

ولعل ذلك هو سبب ذهاب مدن لوط وقومه[82]، كمدينـة سـدوم، وعـامور[83]، وغيرهما لكونها مبنية بأحجار نفطية أو قفرمة[84]، واحترقت هذه المواد. (انتهى).

---

[79] **أم الخلول**: حيوان بحري صدفي يملّح ويؤكل. (غربال: 1654)

[80] **راقات نفطية**: طبقات من رائق النفط. راقات: شرائح على شكل طبقات صافية، كما جاء في لسان العرب: راق الشيء إذا صفا.

[81] **نار جوية**: كالبرق وا أعلم.

[82] **لوط**: بالضم: هو لوط بن هاران بن تارح وهو ابن أخي إبراهيم بن تارح خليل ا ؛ بعثه ا إلى قَومِه فكذبوه، وأَحدثُوا ما أَحدثوا، فاشتق النّاس من اسمه فِعلاً لمن فَعلَ فِعلَ قَومِهِ. ومدن قوم لوط بفلسطين. ولوط ليس بنبي في الديانتين اليهودية والمسيحية بل هو رجل بار. (لسان: 357/12).

[83] **سدوم**: فعول من السدِم، وهو الندم مع غم، كان قاضيها يقال له سدوم، وعمورة أو عامورة، وهي من مدائن قوم لوط؛ و كانت خطيئة سدوم وعمورة الفاحشة التي كانت بين الرجال كما يذكر الكتاب المقدس، فزار لوط ملاكان لكي يخلصوه وأهله من العذاب الذي سيوقعه الرب على سدوم وعمورة، وبالفعل نجا لوط البار وابنتاه فقط، وهلكت سدوم وعمورة بقلبها رأساً على عقب وإمطارها بالنار والكبريت وهلكت زوجة لوط. (لسان: 220/6).

[84] قفرمة: لم أجدها حرفياً، ولعلها من القفر، ويمكن اعتماد تفسير الطهطاوي لها على أنهـا أحجـار نفطية من الزفت والقطران.

ومن هنا يعلم أن الطبائعيين ينسبون دمار مدائن لوط إلى أمر طبيعي؛ لا إلى انتقام إلهي.

قال صاحب كتاب "نزهة المشتاق في ذكر الأمصار والأقطار والبلدان والجزائر والمدائن والآفاق": سادوم وعامور كانتا مدينتي قوم لوط، فأغرقهما الله فعاد مكانهما بحيرة منتنة، وسميت (البحيرة الميتة)، لأن ما فيها شيء له روح: لا حوت، ولا دابة، ولا شيء مما شأنه أن يكون في سائر المياه الراكدة والمتحركة، وماؤها حار كريه الرائحة، وفيه سفن كبار يسافر بها في تلك الناحية وتُحمل إليها الأقوات؛ وطول هذه البحيرة ستون ميلاً وعرضها اثنا عشر ميلاً[85]. (انتهى).

وقوله: "لأن ما فيها شيء له روح"، ما: نافية، والمعنى أنه ليس فيها شيء من ذوات الأرواح التي شأنها أن توجد في المياه؛ إلا أن العبارة فيها ركة.

ثم إن نهر الأردن والنهر العاصي يخرجان من جبل لبنان، فالأول يجري من الشمال، والآخر يجري من الجنوب؛ والنهر العاصي هو سلطان أنهار الشام غير أنه سهل الجفاف؛ لولا كثرة الحواجز التي تمنع مياهه من الخروج وتُوقفها؛ ولما كان عالي الحافات، كان لا يمكن أن يروي ما حوله من الخلاء إلا بواسطة نواعير على شطوطه، ولهذا سمي: النهر العاصي. ويسمى عند الجغرافيين من الإفرنج: أُرنـط، بضم الهمزة والراء. (انتهى ملطبرون).

وعبارة كتاب أبي الفداء: ومنها- أي الأنهر- نهر حماة ويسمى نهر الأرنوط، والنهر المقلوب لجريه من الجنوب إلى الشمال، ويسمى العاصي، يعصي عن أن يسقي إلا بنواعير تنزع منه الماء. (انتهى).

---

[85] **الميل**: وحدة قياس مكاني تساوي 1609,25 م. (الحاج إبراهيم: 2).

وأما نهر الأردن الذي عابه ولتبر؛ فإنه كما قال بلنيامش الطبائعي: نهر ظريف رائق عريض بالنسبة للوادي الذي هو به، وهو ما قاله أرباب الأسفار في حقّ هـذا النهر. (انتهى ملطبرون).

وقال أبو الفداء: إن هذا النهر يسمى أيضاً نهر الغور ونهر الشريعة.

ومن الأنهار التي أغلبها سيول ووديان نهر القاسمي، أو نهر قسـيمة بشـمال صور؛ والنهر الكبير الذي هو آخر بلاد كنعان[86].

وقد تولد عن الجبال المعترضة المانعة لجريان أنهار الشام عدة بـرك كثيـرة، فوادي النهر العاصي يحوي من البرك على البركة المسماة بحر الكـديس[87] بقـرب حمص، وبركة فامية التي تجوز ذاك النهر، وبحيرة أنطاكية.

وفي الأراضي المشرقية والجنوبية من بلاد الشام عدة بحيرات غيـر جاريـة؛ مثل: بحيرة عقلي، وبحيرة حاب القديمة، وماؤها مالح، ومنها بحيرة المرج، وليست بعيدة من دمشق.

وأشهر البرك بحيرة لوط السابقة، والظاهر أنها كانت دائماً منقطعة مستقلة لا اجتماع لها بالبحر أصلاً كما هي الآن.

والشام مختلفة الإقليم فهي ثلاثة أقاليم: فرؤوس جبل لبنان مغطاة بالثلوج التي تطري بطراوة عظيمة وسط بلاد الشام. وأما البلاد الساحلية فهـي واطيـة فيكـون حرها مشوباً بنداوة البحر. والسهول المجاورة لبلاد العرب يعتريها في الصيف الحر اليابس. فهذه حالتها في الحر، وأنسب إليها حالة باقي الفصول وما يتعلق بها مـن زروع ونحوها.

---

[86] **بلاد كنعان**: هي بلاد الشام، وكنعان بالفتح ثم السكون، وعين مهملة، وآخره نون، قال ابن الكلبي: ولد لنوح سام وحام ويافث وشالوما وهو كَنْعان، ثم قال: الشام منازل الكنعانيين. (معجم البلدان: 312/3).

[87] **الكديس**: هو حصيد الزرع إذا دق قبل أن يذرى، (لسان: 45/12). وبحر كديس: بحيرة قطينة الواقعة غرب مدينة حمص.

وترتيب الفصول في أرض جبال الشام قريب منه في وسط بلاد الفرنسيس، فالشتاء تستمر بها من شهر نوفمبر إلى شهر مارث[88]، وتصير قوية صعبة، ولا تمر بها سنة من غير ثلج أصلاً، وربما غطى الأرض بعدة أقدام مدة أشهر تامة؛ وفصلا الربيع والخريف معتدلان بهذه الجبال. ولا شدة للحر بها أصلاً في زمن الصيف.

والسهول بالعكس، فإنه بمجرد دخول الشمس في أحد الاعتدالين[89] ينتقل دفعة واحدة إلى الحر القوي الذي لا ينقطع إلا في شهر أقطبر[90].

وبها الشتاء معتدلة لا يتأثر بها النارنج والنخل والموز وغيرها من الأشجار التي تموت في المنطقة المبرودة- أي: شديدة البرد- فمن هنا ينتج أنك إذ خرجت من الجبال في الشتاء الشديدة ونزلت إلى السهل رأيت الشتاء فيه كأنها زمن الربيع، فلهذا قيل: إن بأرض الشام مسافة ساعات تفرق بين الشتاء والربيع؛ ومنه يعلم أنه يمكن في الشام زراعة نباتات البلاد الحارة والباردة، فلذلك قال بعضهم: إن الصناعة لو وافقت الطبيعة بأرض الشام، لأمكن جعل النباتات الغريبة قريبة بنحو عشرين ملقة، يعني: لأمكن زرع بلاد الإفرنج الباردة مثلا بجبال الشام التي تماثلها في البرودة، فتكون قريبة من السهول.

ثم إنه يوجد في جميع أراضيها القمح والشعير والفول والقطن وغيرها.

ومنها محال مخصوصة بالنباتات النافعة للحاجة وللنزهة، فبلاد القدس مثلا يكثر فيها السلجم[91] الجيد الزيت، والذرة المصرية، وتصح الذرة الشامية في أرض

---

[88] **مارث**: كما في المخطوط، هو شهر مارس March أو آذار.

[89] **الاعتدالان**: هما الاعتدال الربيعي، والاعتدال الخريفي؛ والمصطلح العربي الدقيق كما جاء في الأصول العربية هو: مبادرة الاعتدالين، وهما في الحقيقة حركتان متزامنتان في الوقت نفسه، تنتج بسبب الاهتزاز وتسمى كذلك التمايل أو الانسدال في حركة دوران الأرض، وهي نتيجة لتأثير جذب القمر والشمس، ومبادرة الاعتدالين تؤثر في مناخ الأرض. (الحاج إبراهيم: 32).

[90] **أقطبر**: كذا في الأصل، والمقصود به شهر أكتوبر October أو تشرين الأول. أما نوفمبر فهو شهر تشرين الثاني.

[91] **السَّلْجَم**: يشبه الكرنب واللِفت، يزرع علفاً للماشية، ويستخرج من بذوره الزيت. (غربال: 995).

بعلبك الخفيفة، والأرز يفلح أيضاً في شطوط الحاولة[92]، وقد صح زرع القصب؛ يعني: قصب السكر، في بساتين صيدا وبيروت من نحو ثلاثين سنة، وكان لم يزرع بها قبل ذلك أصلاً، وساوى في الجودة قصب بلاد البحِيرة[93] ببر مصر.

والنيلة[94] تخرج بغير صناعة على سواحل نهر الأردن، وليست ناقصة إلا التعهد حتى تكون جيدة، وعلى برور اللاذقية يخرج دخان الشرب الجيد الصفة الذي يباع في دمياط والقاهرة.

وهذه المزروعات توجد أيضاً بأراضي الجبال من الأشجار المخصوصة بمحال مخصوصةٍ شجر الزيتون؛ فإنه يخرج في أنطاكية والرملة ويكون علوه قدر شجر الزان، شجر التوت الأبيض هو معظم ربح الدروز لأنهم يتعهدونه غايةَ التعهد للحرير الذي يستخرجونه من دود القز، ويتاجرون فيه.

وكذلك شجر العنب عندهم، فإنه يخرج منه نبيذٌ يحاكي نبيذَ بوردو[95] ببلاد فرنسا.

وفي يافا الليمون العظيم والبطيخ الجيد؛ وفي غزة يخرج التمر الحجازي والرمان المغربي؛ وفي طرابلس يخرج النارنج مثل النارنج المالطي. وفي بيروت يوجد التين الذي يضاهي تين مرسيليا[96]، والموز الذي يشابه موز جزيرة سنْتَمنْغ-

---

[92] **الحاولة**: أو الحولة ؛ سهل خصب يقع في الجهة العربية من نهر الأردن، غني بالمياه السطحية والجوفية، تزرع فيه البواكير.

[93] **بلاد البحيرة**: وهي الآن محافظة من محافظات مصر وعاصمتها مدينة دمنهور تقع في غرب الدلتا ويحدها شمالاً البحر الأبيض المتوسط وشرقاً فرع رشيد وغرباً محافظتي الإسكندرية ومطروح وجنوباً محافظة الجيزة. (الحاج إبراهيم: 45).

[94] **النيلة** L'indigo : وهي نبات من جنس "إنديغوفيرا" Indigofera، من فصيلة البقليات Leguminosea. موطنه المناطق الحارة من العالم، وهو ذو ثمار قرنية، كحبات البسلة، وأوراق ريشية الشكل، وزهرات صغيرة أرجوانية أو بيضاء أو وردية اللون. يستخرج من بعض أنواعه صبغ أزرق قابل للتحلل بالماء.

[95] **بوردو** Bordeaux : مدينة فرنسية. تقع جنوب غرب فرنسا. (الحاج إبراهيم: 109).

[96] **مرسيليا** Marseille: ثالث أكبر مدن فرنسا بعد العاصمة باريس ومدينة ليون، تقع في جنوب فرنسا على ساحل البحر الأبيض المتوسط، وهي أهم ميناء بحري بفرنسا. (الحاج إبراهيم: 109).

بفتح السين، وسكون النون، وفتح الفوقية، والميم بعدها نـون سـاكنة، ثـم غـين معجمة- جزيرة ببلاد أمريكة.

ولا يوجد فستق يحاكي فستقَ حلب في الجودة أصلاً. ويوجد بدمشـق جميـع الفواكه الموجودة ببلاد الإفرنج، فإنه يصح في أرضها تفاح نرمندية[97]، وبرقـوق[98] تورينة[99]، وخوخ البلاد المجاورة لمدينة باريس. وجزم بعض الإفرنج بأن القـدس يصح فيها زراعة بن اليمن.

وببلاد الشام غالب الحيوانات الأهلية والوحشية الموجودة بغيرها من الـبلاد؛ ومن جملة ما فيها الجواميس والإبل والغـزلان وابـن آوى والضـباع والنمـورة الصغيرة التي ليست في الحقيقة من النمورة، وهذه الحيوانات المؤذية ليس منهـا، وهناك ما يضر كالجراد وذلك لأن الشتاء إذا جاءت خفيفة البرد، كثر الجراد بـبلاد العرب، وجاءت منه حومات[100]، عظيمة على بلاد الشام فتنشـف الـزروع والأوراق عقب ذلك، وهذا هو سبب وجود قحط الشام وهو بها في غالب الأحوال، فـإذا رأى أهلُ الشام ذلك وحل بهم؛ دعوا الله سبحانه وتعالى أن يسلط طير السرمرمر[101] على الجراد ليأكله، وأن يرزقَهم بريح الجنوب الشرقي ليطرده إلى البحر المـالح. ومـن الجراد نوع يغتذون به ويسحقونه ليصنعوا منه الشوربة.

---

[97] **نرمندية**: من النورماندِيين أو الأرمانيون؛ والأردمانيون هم أهل الشمال. سكنوا بريطانيا وهي جزيرة توازي حد الأندلس الأقصى وهي مستطيلة من القبلة إلى الجوف طولها ثمانمئة ميل وعرضها مئة ويتصل حدها ببلاد الصقالبة، وهي طيبة الهواء معتدلة الحر كثيرة الثمرات والخيرات وعند أهلها حكمة وفلسفة وبصر بحد المنطق. (غربال: 1858).

[98] **البرقوق**: الخوخ؛ شجر من الفصيلة الوردية، ينمو في المناطق المعتدلة، أزهاره بيض وردية، وثمره مختلف الألوان. (غربال: 350).

[99] **تورينة**: وهي مدينة عريقة في شمال إيطاليا، كانت عاصمة لإيطاليا قبل روما. (الحاج إبراهيم: 87)

[100] **حومات**: مجموعات تتقدم جواً بشكل دائري متلاحق قبل عملية الانقضاض. (لسان: 407/3).

[101] **السمرمرمر**: كذا في الأصل، والصواب: السمرمر؛ مفرده: سمرمرة، طائر من فصيلة الزرزوريات، يزعق على الجراد ويأكل منه، ولا يلبث ما يأكله حتى يخرج منه، ولذا ينهزم الجراد من صوته. (الوز: 21).

ثم إن بلاد الشام أُخِذت عدة مرات على التوالي بالعجم والروم والعرب والإفرنج والعثمانية، فلذلك حصل الاختلاط في أهلها بينهم وبين الغرباء؛ غير أن أرباب المناصب الداخلية والعسكرية بها هم العثمانية، وبها كثير من العرب استوطنوا بها، واتخذوا الفلاحة صناعة لهم.

وبها أيضاً عرب بوادي سواحون ويكثر عددهم في إيالة دمشق. ويوجد كثير من التركمان والأكراد والسواحين بأرض حلب.

ومن أرض الشام أيضاً بلاد الدروز والمتاولة والنصارية والموارنة؛ وسنذكرها في محالها.

وأصلُ لسان أهل الشام السرياني، ولا يعرف إلا في البلاد القريبة من دمشق، وفي جبل لبنان؛ واللغة العربية يكثر استعمالها في الأرياف والمدن.

ومن الفلاحين منهم من يتكلم بلسان النبيط ويسمون النبايوط، ولسان النبيط لغة مركبة من اللسان السرياني والكلداني يعني لسان قدماءِ العراق.

ودين الإسلام هو دين غالب أهل البلاد؛ ومن الأديان الموجودة بهذه البلاد دين النصارى الشوام السالكين نهج النصارى الأروام[102]، وهم كثيرون و يلقبون بالملكية، نسبة للملك، كأنهم تابعون لملوك الروم الأقدمين الذين كانوا يتعرضون للمجادلات في الأديان[103].

[102] في الأصل: في الأديان الدينيان.

[103] ذكر في الملل والنحل /142: أن النصارى افترقت اثنتين وسبعين فرقة وكبار فرقهم ثلاثة: الملكانية والنسطورية واليعقوبية. والملكانية أصحاب ملكا ظهر بأرض الروم واستولى عليها، ومعظم الروم ملكانية؛ والنسطورية أصحاب نسطور الحكيم الذي ظهر في زمان المأمون وتصرف في الأناجيل بحكم رأيه، وهذه الطائفة انتشرت في بلاد فارس، الهند، الصين ومنغوليا وذلك بتأسيس الكنيسة النسطورية؛ واليعقوبية هم أصحاب يعقوب وهم قوم بالشام واليمن وأرمينية.

ويوجد أيضاً جماعة على الملة اليعقوبية كالقِبطة[104] وطائفة الموارنة منتميـةً إلى كنيسة روما العظمى[105]، فهم تابعون للبابا.

وأما أهل البوادي فإنه إن صح أن لهم ديناً ينسبون إليه؛ فلا عبادة لهم أصلاً.

ويوجد أيضاً ببلاد الشام الإفرنج واليهود والأرمن والنسطورية. ويقـال: إنـه ليس من البلاد ما يتجمع فيه من الأديان مثل ما في الشام، على أنها تشـتمل علـى فروع أديان النصارى والإسلام.

وهذه البلاد محكومةٌ بأربع باشات تحكم على طوائف مختلفة الجنس والـدين، وهي: باشا حلب ودمشق وطرابلس وعكا.[106]

الفصل الثاني: في ذكر باقي إيالة دمشق قاعدة الباشا:

هي مدينة دمشق التي كانت تسمى عند الرومانيين في سالف الزمـان مدينـة (دمسقُوس)[107]، وتسمى الآن عند الإفرنج داماس، و هي أيضاً محل إقامـة بطـرق أنطاكية. (أبو الفداء).

---

[104] القبطة: الكلمة العربية قبط هي تعريب للكلمة القبطية كِپتياس، من اليونانية أَيگُپتيوس Αιγύπτιος التي تعني مصري؛ من أَيگُپتوس Αίγυπτος، الاسم اليوناني لمصر، الذي يظن أنه ربما يكون تحريفاً لـ"حوط كا بتاح" أي محط روح بتاح اسم معبد بتاح في منف، العاصمة القديمة. القبط تنسب إلى قبطيم بن مصرايم بن كوش بن حام بن نوح عليه السلام القبطية؛ واللغة القبطية مجرد لهجة دارجـة قائمـة بذاتها، وتطورت تطوراً طبيعياً، جرى عليها كما جرى على كل اللهجات المنبثقة من كل لغة من لغات العالم، وهي الدور الأخير من اللغة المصرية كُتبت بحروف يونانية صِرفة لا علاقة لهـا بـالحروف المصرية، واستعارت من المصرية سبعة أحرف ديموطيقية لم توجد في اليونانيـة. (الخليـل أحمـد، 2006).

[105] كنيسة روما العظمى: والمقصود بها الفاتيكان (Vatican) مقر الكنيسـة الكاثوليكيـة فـي قلـب العاصمة الإيطالية روما، كانت جزءاً من الدولة الإيطالية حتى سنة 1929م حيث تم الاتفاق على إنشاء دولة ذات كيان مستقل، تُدار من قبل بابا الفاتيكان والذي يعد أيضاً القائد الروحي لما يقـارب المليـار كاثوليكي في مختلف بقاع الأرض. (غربال: 1261).

[106] انتهت مقدمة الرسالة التي تمثل أول 25 صفحة من المخطوط، وفيما يأتي الصفحات رقـم: 42 و 43 و44 و45، التي تمثل الفصل الثاني من الباب الأول المتعلق بإيالة دمشق.

[107] دمسقُوس: بالانكليزية DAMASCUS؛ وداماس: بالفرنسية DAMAS .

وعد منها غوطة الشام[108] وهي دمشق.

وبهذه المدينة وفي وسطها طريق كبيرة مشتملة على صفين من الحوانيت العظيمة[109]، وبها بضائع الهند بجانب بضائع الإفرنج، وبيوتها غير مزينة الخارج ولكنها نزهة من داخلها[110]؛ مزخرفة بنفيس ما يمكن التزين به، وملوطة بأحجار الرخام ويشاهد بها من سائر جهاتها المرمر الأبيض والتذهيب النفيس.

وفي كل بيت عظيم فسقية[111]، أو عدة فساقي تلعب مياهها في حياض ظريفة، وأقل بيت له ثلاثة مجاري ماء أحدها في المطبخ، والآخر في الجنينة[112]، والثالث لإزالة النجاسات، أو للاستنجاء[113].

---

[108] **غوطة الشام**: هي الأراضي الخضراء المحيطة بدمشق، ويشكل اجتماع نهر بردى مع الغوطة مع جبل قاسيون السبب الرئيسي لاستمرار دمشق في التاريخ، تغنّى بالغوطة كل من مر بها على أنها جنة ا في الأرض، على شكل رياض أنيقة متصلة ببعضها ومنبسطة على ضفاف نهر بردى وفروعه السبعة؛ تبدأ من ينبوع نهر بردى وتنتهي عند مصبه في بحيرة العتيبة، وتقسم إلى غوطتين: شرقية وغربية. (العظمة: ص 67).

[109] الأرجح أنه يقصد سوق الحميدية الذي يعد من أهم أسواق دمشق، حيث تُعرض فيها البضائع المحلية الصنع ذات الطّابع الشّرقي- وخاصةً الدمشقية- كالموزاييك الدقيق الصنع ونسيج البروكار المصنوع على الأنوال اليدوية وصناعات الخشب المطعم بالصدف والزخرف، والمطرزات وأشغال الإبرة، والآنية النّحاسية المنقوشة؛ وفي نهايته يقع الجامع الأموي. وقد جدد بناء السوق السلطان عبد الحميد ، فسميت باسمه.

[110] في بيوت دمشق القديمة ينغلق المسقط على الفناء الداخلي مهما كانت الحالة الاقتصادية للمالك، ويعزى ذلك إلى توفير الخصوصية المعيشية والدينية؛ وتظهر القصور والمنازل متساوية في الشكل من الخارج، لسببين: أولها يقع في مراعاة الجوار لحالات بعضهم الاقتصادية والاجتماعية، وثانيها يتعلق بتوفير عوامل أمان من الاعتداءات والسرقات وزيادة الضرائب؛ وكانت الفروقات تظهر بجلاء من داخل المنازل على شكل زيادة في المساحات والاهتمام بالواجهات الداخلية واستخدام أنواع الرخام والأحجار الملونة والزخارف والحليات. (كبريت: 53/1)

[111] الفسقية: حوض صغير جميل الشكل من الحجر أو الرخام به ماء يجري إليه ومنه بشكل دائم؛ قد يكون أصل التسمية من "الفِسق" وسميت بذلك لأنها تخرج عن مسار جريان الماء، أو لأنها تستهلك الماء بكثرة، أو أنها تفسق عن محيطها بوظيفتها وشكلها. (أنظر لسان العرب: ف س ق).

[112] **الجنينة**: تصغير جنة (كما ورد في معجم البلدان)، حديقة المنزل بلغة العامة من الدمشقيين، والاسم المستخدم فعلياً هو: أرض الديار؛ وقد قام الشيخ أبو اليسر عابدين في شرح (الجنينة) من خلال تفكيكها وربطها بالأصل كأنها من صنع الجن لجمالها، أو من التخيلات المصاحبة للجلوس فيها، أو بالجنة: البستان ، وذلك في كتابه المخطوط: **لما سمي؟**.

[113] يعود نظام المياه في منازل دمشق القديمة إلى أيام الرومان، حيث كان يتوزع على منازل المدينة ثلاث قنوات رئيسية: الأولى منها للشرب وتدخل إلى المنازل بقنوات فخارية دائرية، والثانية للري

وعلى هذه الزينة أيضاً قياس المساجد[114] والكنائس[115] والقهاوي، فإنها مزينة زينة عظيمة ومزخرفة زخرفة حسنة.

وبها قهوة تسمى الخنوردي[116] يعني قهوة شجر الورد، وهي من مسـتظرفات غرائب البلاد المشرقية. وحوالي هذه المدينة نهر يسمى بحر راضـي[117]، ويوجـد حولها أيضاً غيره من الأنهر الصغيرة[118].

وبها في سائر فصول السنة الخضراوات النضرة المقبولة، وبها تكثر الحـدائق والبساتين وحولها في الخلاء بيوت وقصور لطيفة[119].

وأهل هذه المدينة نحو مئتي ألف نفس، وهي من أعظم بلاد المشـرق متجـراً وصناعة، وقد كانت شهيرة بمعامل السيوف[120] المصنوعة خلط أوراق رهيفة مـن

والغسيل وتدخل مجارٍ مكشوفة، والثالثة كانت لاستيعاب الفائض من المياه المستعملة، يضاف إلى ذلك وجود بئر مياه خاص بكل منزل؛ وفق قواعد وقوانين وأعراف وعادات تحترم الحقوق وتراعي جميع مفاهيم الصحة والنظافة والطهارة. (مرتضي: ص 31).

[114] من أهم مساجد دمشق هو مسجد بني أمية أو المسجد الأموي، ورابع الأماكن المقدسة، ويعد مثالاً رائعا من الحسن والصنعة في العمارة؛ بدأ عمارته الوليد بن عبد الملك سنة 86هـ. واستمر العمل فيه تسع سنين. (عقيلي:54).

[115] تعد كنائس دمشق من أهم الكنائس في العالم بعد كنيسة القيامة، ويوجد في دمشق كنائس عديدة منها: كنيسة "القديس حنانيا الرسول" القديمة وهي تحتفظ بطابعها البسيط في قلب كهفٍ حجري، والكنيسة المريمية، وكاتدرائية وكنيسة سيدة النياح، وكنيسة سلطانة العالم، وكنيسة سيدة دمشق، وغيرها الكثير. (راجع أثناسيو، 2004).

[116] **قهوة الخنوردي**: يمكن رصد تاريخ المقاهي في دمشق بدءاً من منتصف القرن السادس عشر الميلادي بمساهمة كبيرة من ولاة دمشق آنذاك، وكان أولها مقهى الدرويشية؛ ثم انتشرت بكثرة؛ وذكر في تاريخ مقاهي دمشق أسماء كثير لم يكن الخنوردي بينها، إلا أن أهمها في القرن الثامن عشر كان مقهى العصرونية بالقرب من قلعة دمشق الذي كان يستقدم فنانين أجانب، منهم مالديس الفرنسي الذي أقام عدة حفلات فيها في العام 1876م؛ ولعل صاحبها كان يدعى الخنودري فسميت باسمه آنذاك. (راجع الإيبش والشهابي: 874/2).

[117] **بحر راضي**: لم أجد نهراً حول مدينة دمشق يدعى بحر راضي، ولم استشبه بالتسمية مع نهر آخر.

[118] ينقسم نهر بردى في منطقة الربوة إلى فرعين عن يساره هما: يزيد وتورا؛ وعن يمينه: بانياس والقنوات والمزاوي والديراني؛ يضاف إلى هذه الأنهر السبعة بعض القنوات الفرعية الأقل أهمية مثل: الداعياني والعقرباني والمليحي. (مرتضى:17).

[119] أشيدت منازل وقصور كثيرة على ضفاف نهر بردى قبل دخوله للمدينة، أهمها كان في منطقة كيوان والربوة ودمر؛ وقد رصدت في فسيفساء الجامع الأموي نماذج منها. (عقيلي: 221).

[120] امتازت السيوف الدمشقية عن غيرها بظاهرة فنية عرفت باسم "جوهر السيف" أو "فرنده"، وللجوهر أسماء منها: الدمشقي أو الشامي، وله أشكال عديدة تظهر على النصال وتشاهد له تموجات وبقع، ومن أهم خصائص الجوهر الدمشقي أنه يمتاز بأشكال البقعة المحكمة كتموجات رائعة، كما يمتاز

الحديد والبولاد، ولهذا كانت تنثني إلى المقبض، وتقطع في الأشياء الصلبة، ويقال: إن سِر هذا الشغل قد فُقِد[121]؛ ومن هذه المدينة أخذ الشغالين طيمور[122] إلى بلاد العجم، فاشتغلوا له السيوف وصحت ببلاد العجم إلا أنها دون سيوف دمشق في الجودة والحسن.

وفي دمشق أيضاً معامل الصابون والقطن المشغول مع الحرير.

ويتعجب الإفرنج من شغل خشب الأبنوس[123] بها وتزيينه بالعاج والصدف.

وبها تكثر التجارة، وقافلة مكة كل سنة[124].

وهي على خمس وأربعين 45 ملقة على الشمال الشرقي من مدينة القدس، وعلى مئتين وثمانين 280 من الجنوب الشرقي من إسلامبول، وعلى مئة وخمس وأربعين 145 ملقة من القاهرة.

وحكم باشاها من صحاري مصر إلى حلب، وهي في ثلاث وثلاثين درجة 33 وثماني عشرة دقيقة 18 من العرض الشمالي، وفي أربعة وثلاثين 34 درجة،

بإشراق له مائل إلى البياض مع عدم قابليته للصدأ كسائر أنواع الجوهر، كما يمتاز بلينه ولدانته وثباته؛ من مراحل صناعته "التكفيت" أي تنزيل الذهب والفضة على نصال السيوف، وعملية "التسقية" لجعل الصلب الفولاذ أنشف حتى لا يتآكل بسرعة، ويستعمل لعملية التسقية الزئبق والماء البارد المذاب فيه قليل من ملح الطعام أو الزيت مثل زيت الذرة أو زيت القطن أو الماء الساخن. (راجع بولاد: 1989).

[121] في الأصل المخطوط: (**انفقد الآن**).

[122] **طيمور**: كما في المخطوط؛ والمقصود به القائد المغولي تيمورلنك مؤسس الإمبراطورية التيمورية (1370 - 1405م) في وسط آسية، وأول الحكام في العائلة التيمورية التي استمرت بالحكم حتى عام 1506 م. ويعني اسمه "لنك الأعرج" نتيجة لإصابته بجرح خلال إحدى معاركه. أما كلمة تيمور فتعني بالتركية والمنغولية "الحديد". كان تيمورلنك قائدا عسكريا فذّاً قام بحملات توسعية شرسة أدت إلى مقتل العديد من المدنيين وإلى اغتنام مجتمعات بأكملها. و تيمورلنك كان يدعي الإسلام، واهتم بجمع العلماء الصناع المهرة من البلاد التي يغزوها وإرسالهم إلى عاصمته سمرقند. (راجع ابن عربشاه: 1299هـ).

[123] لا يستخدم خشب الأبنوس في صناعة المفروشات الدمشقية، وغالباً ما تصنع المفروشات الدمشقية المزينة بالعاج والصدف والقصدير من خشب شجر الجوز المحلي لتوفره بكثرة في غوطة دمشق، وقد التبس الأمر على الكاتب بسبب حسن الصنعة، وتماثل اللون على الأغلب.

[124] **قافلة مكة**: لم أجد ما يفيد بوجود قافلة إلى مكة غير محمل الحج، ولعله المقصود بها؛ وقد كان يخرج من بلاد الشام أربعة محامل للحج حسب الباشاوات، وكان أهمها محمل الحج الذي يخرج من جنوب دمشق انطلاقاً من منطقة الميدان. (راجع كيال، 2006).

وخمس وخمسين 55 دقيقة من الطول الشرقي من خط نصف نهار باريس[125]. (انتهى ملطبرون، ومسلين، وغيرهما).

قال في نزهة المشتاق: ومدينة دمشق من أجلّ بلاد الشام وأحسنها مكاناً، وأعدلها هواء، وأطيبها ثرى، وأكثرها مياهاً، وأغزرها فواكه وأعمها خصباً وأوفرها مالاً وأكثرها جنداً وأسمحها بناء.

ولها جبال ومزارع تعرف بالغوطة، وطول الغوطة مرحلتان في عرض مرحلة. ومن باب دمشق الغربي وادي البنفسج[126] وطوله اثنا عشر ميلاً، وعرضه ثلاثة أميال، وكله مغروس بأجناس الثمار يشقه خمسة أنهار[127].

ومياه الغوطة الجارية بها تخرج من عين الفيجة[128]، وهذه العين في أعلى جبل، وينصب ماؤها من أعالي هذا الجبل كالنهر العظيم له صوت هائل.

---

[125] **خط نصف النهار**: وهي دائرة وهمية تحيط بالأرض تمر بأقطاب المعدل والأفق، وتفصل بين النصف الشرقي والغربي فيما يتعين فيه الشرق والغرب، وتقطع الأفق على نقطتي الشمال والجنوب والخطّ الواصل بينهما خطّ الزوال، وحيث إنه ينتصف النهار حساً في أكثر بقاع الأرض حين وصول الشمس إلى هذه الدائرة فوق الأفق، سميت بنصف النّهار وهي التي غاية ارتفاع الشمس حينئذ. (الحاج إبراهيم: 30).

[126] في دمشق واديان:وادي البنفسج: المنطقة الممتدة من دمشق باتجاه الجنوب الغربي: بساتين الشاغور والفحامة مروراً بالمزة واللوان وكفرسوسة وداريا والميدان، إلى المعضمية والجديدة؛ ووادي الزنبق: المنطقة الممتدة من دمشق باتجاه الشرق حتى العتيبة.(الشهابي: 375/3).

[127] الأنهار الخمسة هي: بردى وبانياس والقنوات والمزاوي والديراني. (الشهابي: 365/3 و366).

[128] **نهر بردى**: ارتبط اسم نهر بردى بتاريخ مدينة دمشق، وكان للنهر كبير الأثر في حضارة المدينة عبر العصور وتغنى به العديد من الشعراء قديما وذكر في الكثير من المراجع التاريخية لأهميته، ويقول المؤرخ ابن عساكر: إن نهر بردى كان يعرف قديماً باسم نهر باراديوس أي بمعنى نهر الفردوس، وأطلق عليه الإغريق اسم نهر الذهب، وقد ذكر نهر بردى في الكتب المقدسة وفي مراجع تاريخية كثيرة؛ ويوجد لوحات فسيفساء أثرية في المتحف وعلى جدران الجامع الأموي تبين نهر بردى ماراً بين منازل دمشق، وقامت على ضفافه أحداث مهمة منذ فجر التاريخ، ومازالت آثار المعبد الروماني (حصن عزتا) باقية إلى الآن فوق مخارج نبع الفيجة، ولا تزال القنوات الرومانية شاهدة على عظمة هذا النهر. (مرتضى: 23).

ويبدأ النهر من بحيرة نبع بردى في جنوب الزبداني على سلسلة الجبال السورية شمال غرب دمشق على بعد 40كم من دمشق، ويسير باتجاه دمشق في واد سمي باسمه، يرفده في هذا الوادي نبع أكثر أهمية من نبع بردى يسمى عين الفيجة، ويدخل إلى دمشق من منطقة الربوة، ويصب بعدها في بحيرة العتيبة جنوب شرق مدينة دمشق، ماراً بالغوطة، ويبلغ طوله 71 كم، ويتراوح عرضه بين 4.5 إلى 15 متراً. (مرتضى: 25).

ومنها إلى مدينة بعلبك في جهة الشمال مرحلتان ومنها بيروت يومان كبيران، ومنها إلى صيدا مثل ذلك، ومنها إلى نابلس ست مراحـل، ومنهـا إلـى طـرابلس الساحلية خمس مراحل. (انتهى بتصرف). [129]

الخاتمة:

بدأ الطهطاوي مقدمة رسالته برسم حدود بلاد الشام وتحديد مساحتها والتأكيـد على جغرافية ساحلها، فاهتم بمدن الشريط الساحلي، وأهمل المدن والمناطق الداخلية، وربط جغرافيته المترجمة بالتاريخ القديم الذي يستند إلى التوراة في تفسيراته، وكأنـه يصف تنسيق مسرح لأحداث قديمة يتوقع لها أن تستمر في المكان حسـب نبـوءات التوراة؛ التي تناولت منطقة بلاد الشام بنبوءات عديدة يتحالف اليهود مـع الصـليبيين على تحقيقها حرفياً.

ويؤخذ على الرسالة الملاحظات الآتية:

1- اعتماد الرسالة على مؤلفات كولنيالية التي كانت تسعى أساساً إلى جمع معلومات عن وصف المكان وميزاته الجغرافية، وخصائص السكان المحليين الاجتماعيـة والعقائدية والسلالية، وعن ظروف حياتهم ونشاطهم الاقتصادي.

2- إغفال مكانة بلاد الشام في الفكر الديني الإسلامي، والذي يمكن توضيح بعضـاً منه من كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر[130]، حيث خصص فيه أبواباً تفيد في أن الشام صفوة الله من بلاده وإليها يجتبي خيرته من عباده؛ ضـمنها عـدداً مـن الأحاديث الشريفة، منها:

---

[129] انتهى الجزء الذي تم اختياره للتحقيق من المخطوط.

[130] للتوسع والاستزادة انظر: ابن عساكر أبا القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأوائل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، مج 2، ق1، خطط دمشق، تحقيق / د. صلاح الدين المنجد، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق، المطبعة الهاشمية، 1954.

- قول النبي صلى ا عليه وسلم عن الشام: (**الشام صفوةُ ا من بلاده، إليها يجتبي صفوته من عباده؛ فمن خرج من الشام إلى غيرها فبسخطه، ومن دخلها من غيرها فبرحمته**)[131].

- عن عون بن عبد ا بن عتبة قال: (**قرأتُ فيما أنزلَ ا عز وجل على الأنبياء أن ا يقول: الشام كِنانتي، فإذا غَضِبتُ على قومٍ رميتُهم منها بِسهم**)[132].

- وقوله صلى ا عليه وسلم: (**ستَخْرج نار من حضرموتَ أو من بحر حضرموتَ قبلَ يومِ القِيامةِ تَحشُر الناس، قالوا: يا رسولَ اللّهِ فَما تأمرنا؟، قالَ: عليكُم بالشام**)[133].

- وقوله صلى ا عليه وسلم: (**ستُفْتَح عليكم الشام، فإذا خُيرتُم المنازلَ فيها فَعليكُم بمدينةٍ يقَالُ لها دِمشْقُ، فإنها معقِلُ المسلِمين من الملاحِمِ وفُسطاطُها مِنْها بأرض يقَالُ لها الغُوطَةُ**)[134].

3- إهمال الملامح المكانية الجغرافية والبشرية والعمرانية لمناطق بلاد الشام، وإهماله التدقيق في أسمائها وصفاتها، مقابل تدوين مشكل وملحن للمدن الغربية التي ذكرها بهدف المقارنة، ولم يفته ذكر أن سكان بلاد الشام من آكلي الجراد "**يغتذون به ويسحقونه ليصنعوا** منه **الشوربة**".

4- التأكيد على الأديان والطوائف الموجودة في بلاد الشام، ومديح بعضها وذم الآخر، وتصوير المنازعات، ومناطق النفوذ وإظهار أجزاء صغيرة من بلاد

---

[131] ابن عساكر: 119/1؛ وذكره الهندي في كنز العمال عن الطبراني عن أبي أمامة برقم (35012).

[132] نقلاً عن ابن عساكر: 288/1 في باب ما روي في أن أهل الشام مرابطون وأنّهم جند ا الغالبون، ولم أجده في الأحاديث القدسية.

[133] ابن عساكر: 393/1؛ وأخرجه الترمذي في كتاب الفتن، باب ما جاء: (لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من قِبل الحجاز)، عن سالم بن عبد الله بن عمر برقم (2217).

[134] ابن عساكر: 395/1؛ أخرجه ابن حنبل في مسنده عن عبد الرحمن بن جبير عن أبيه برقم (17613، و17609، و17470).

الشام على أنها تخضع لتقسيمات دينية طائفية، دون ملاحظـة أهميـة التـاريخ والعيش المشتركين بينهم بتفاهم وتكافل في المدينة والحي الواحد ما لـم يتـدخل أجنبي؛ ومن أغرب ما ذكره الطهطاوي في الطوائف والأديان عندما جاء علـى ذكر "**أهل البوادي فإنه إن صح أن لهم ديناً ينسبون إليه؛ فلا عبادة لهم أصلا**"، دون أن يفرق بين العرب والأعراب المستعربة.

5- اختصار ذكر دمشق في أربع صفحات بما لا يزيد على 500 كلمة، أتـى فيهـا بالحديث عن اسمها وذكر غوطتها، ووصف سوقها الذي يحوي على صفين مـن الحوانيت العظيمة دون ذكر اسم السوق، وأخطأ باسـم القهـوة الوحيـدة التـي وصفها، ولم يعرف أن بردى ينبع أساساً من نبع بردى وعين الفيجة تعـد مـن الروافد للنهر في أثناء عبوره لوادي بردى، كما فاته معرفة أن مياه الفيجة تنبـع من تحت معبد روماني، وأن النهر يتفرع لسبعة أنهر، وأشار إلى نهـر يحـيط بدمشق اسمه "بحر راضي" والأغلب أنه يتحدث عن مدينة أخـرى، وتعـرض لشغل خشب الأبنوس ولم يميزه عن خشب الجوز المحلي، وسمى محمل الحـج بقافلة مكة؛ والأهم من ذلك كله: فاته لحظ الجـامع الأمـوي وأبـواب دمشـق وسورها وقلعتها، كما غاب عنه قاسيون وصالحيته التـي تعـج بـدور العلـم والمساجد ومقامات العلماء.

على الرغم من أن العنوان يبدأ بكلمة **رسالة**، وأن الرسالة تعني ضمناً الإيجـاز وأداء المقصود بأقلّ من عبارة المتعارف[135]؛ إلا أن الأمر لا يتعدى الاختصـار مـع وجود أخطاء؛ ويمكن تبريرها بأنه لم ير دمشق ولم يزر المناطق التي تحدث عنهـا، وبأنه ناقل فقط؛ وبالنظر إلى الأعمال الفكرية الكبيرة التي خلفها الشـيخ الطهطـاوي

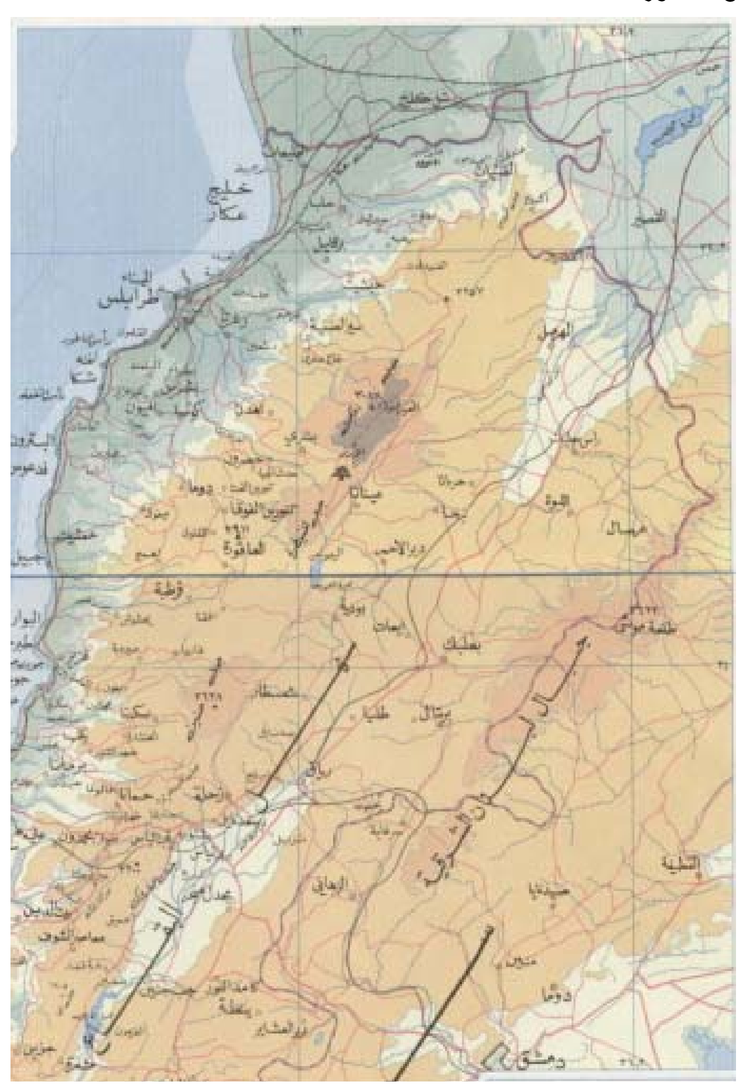
[135] عابدين محمد أبو اليسر، التعريفات، مكتبة الغزالي، دمشق، سورية،1994.

رحمه ا ؛ يمكن إعادة التأكيد أن الرسالة كانت نواة لمؤلف، ولم تكن فـي صـيغتها النهائية، ولم يكن لينشرها على حالها؛ عملاً بقول ابن خلدون[136]:

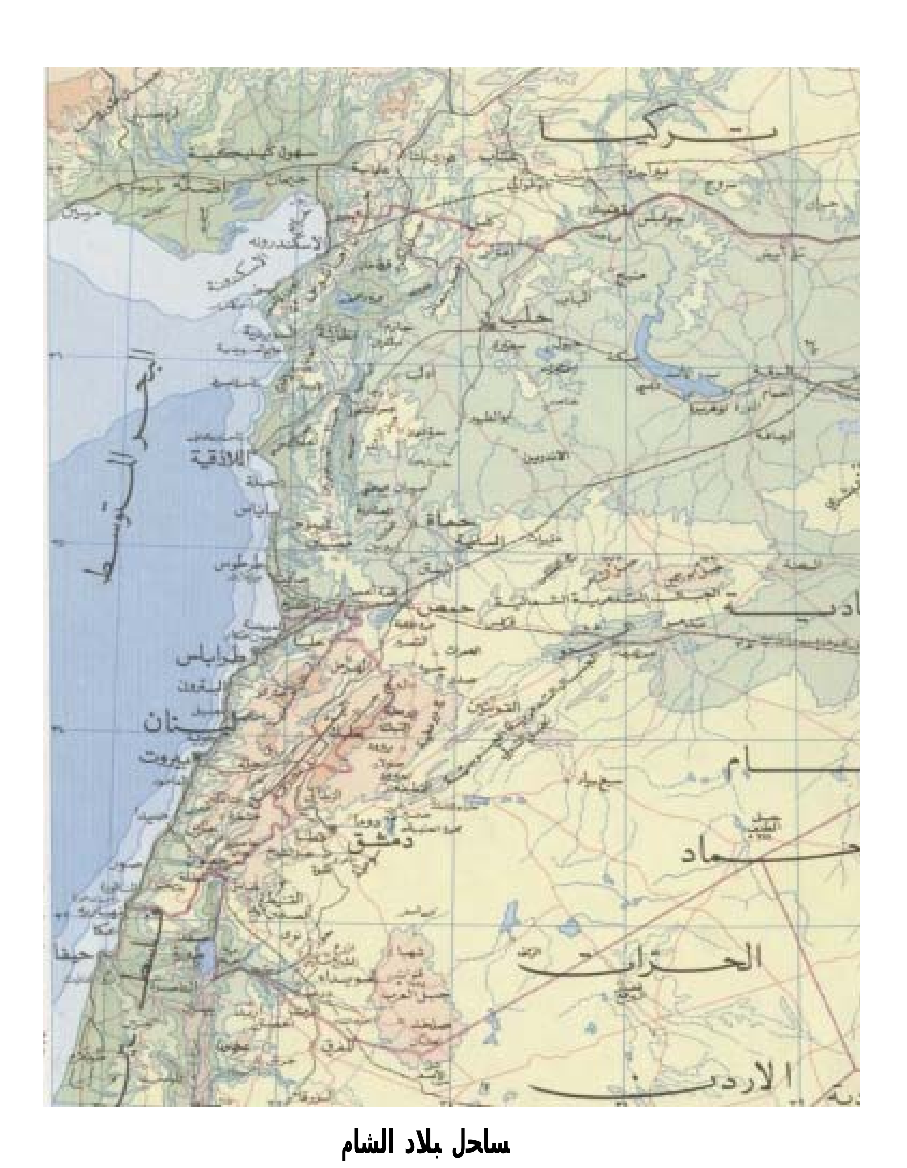
"**اعلم أن فن التاريخ فن عزيز المذهب، جم الفوائد، شـريف الغايـة... فهـو محتاج إلى مآخذ متعددة ومعارف متنوعة، وحسن نظر وتثبت يفضيان بصـاحبهما إلى الحق وينكبان به عن المزلات والمغالط ؛ لأن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل، ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعـة العمـران والأحـوال فـي الاجتماع الإنساني، ولا قيس الغائب منها بالشاهد، والحاضر بالذاهب ، فربمـا لـم يؤمن فيها من العثور، ومزلة القدم والحيد عن جادة الصـدق. وكثيـراً مـا وقـع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغالط في الحكايات والوقائع، لاعتمـادهم فيهـا على مجرد النقل غثاً أو سميناً، لم يعرضوها على أصولها، ولا قاسوها بأشـباهها، ولا سبروها بمعيار الحكمة، والوقوف على طبائع الكائنات، وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار. فضلّوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط**".

[136] ابن خلدون ولي الدين عبد الرحمن بن محمد- تحقيق: الدرويش عبدا ، مقدمة ابن خلدون، دار يعقوب، دمشق- سورية، 2004. ص: 94.

ملحق الصور:



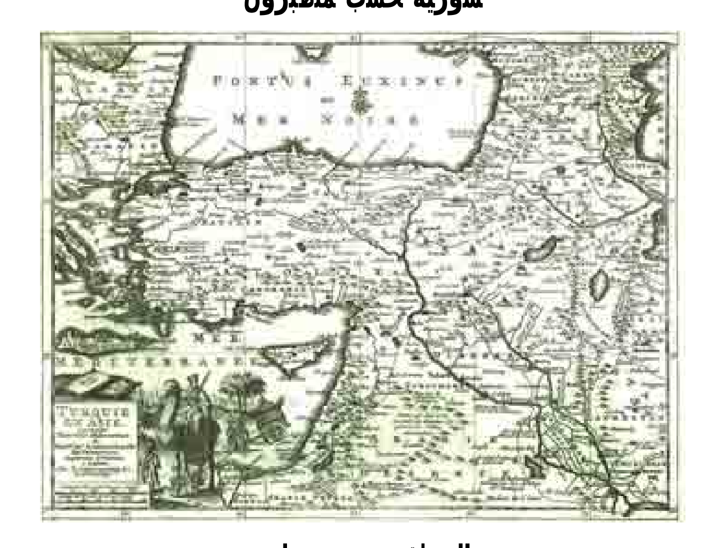
جبال لبنان



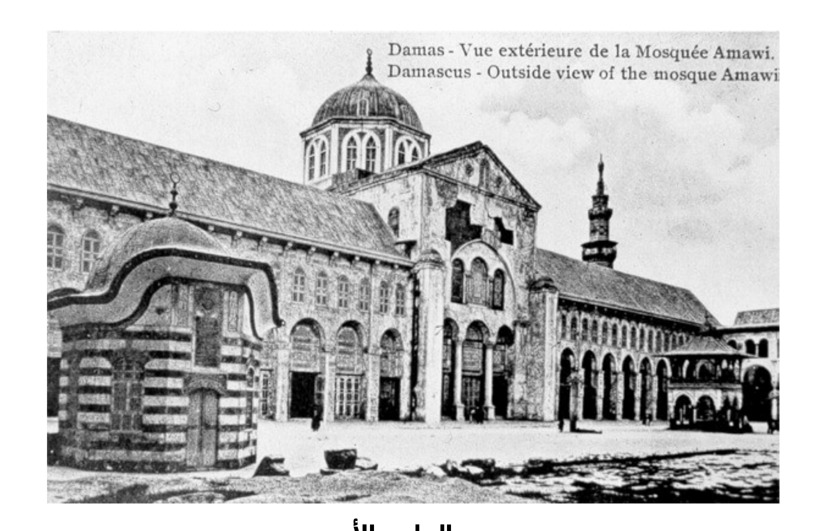
ساحل بلاد الشام



سورية حسب ماطبرون



المنطقة حسب رولين



صحن الجامع الأموي



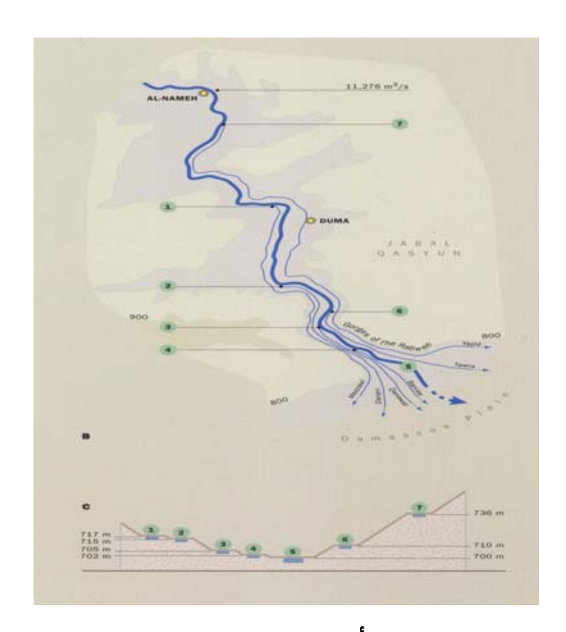
الجامع الأموي في دمشق



الجامع الأموي و قاسيون



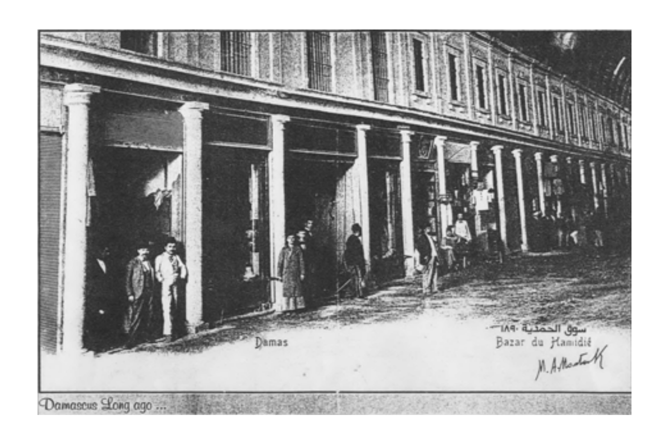
نبع عين الفيجة- حصن عزتا



أفرع نهر بردى



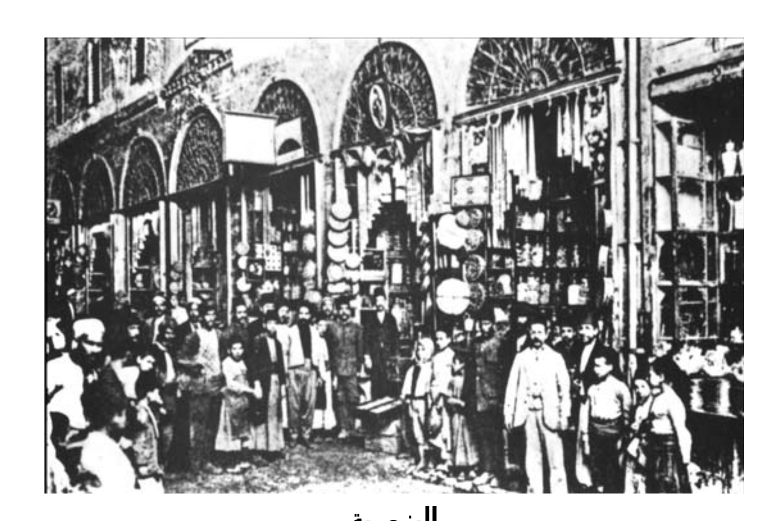
نهر بردى والتكية السليمانية



سوق الحميدية



مدحت باشا



البزورية



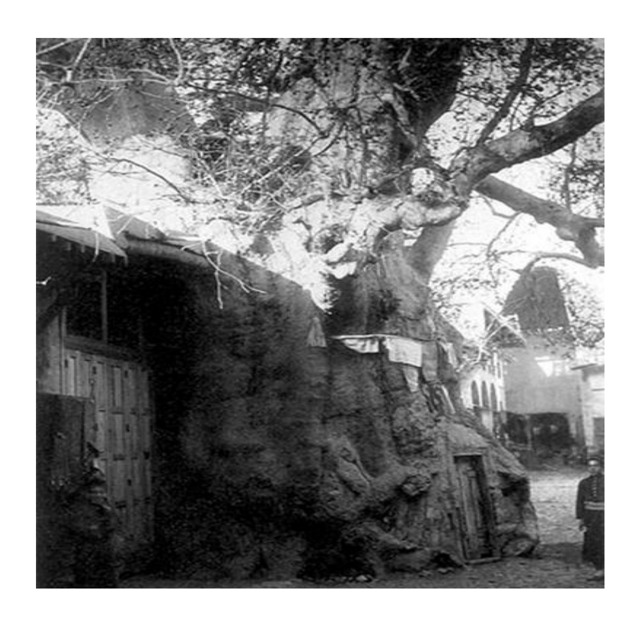
الفسقية



أرض الديار



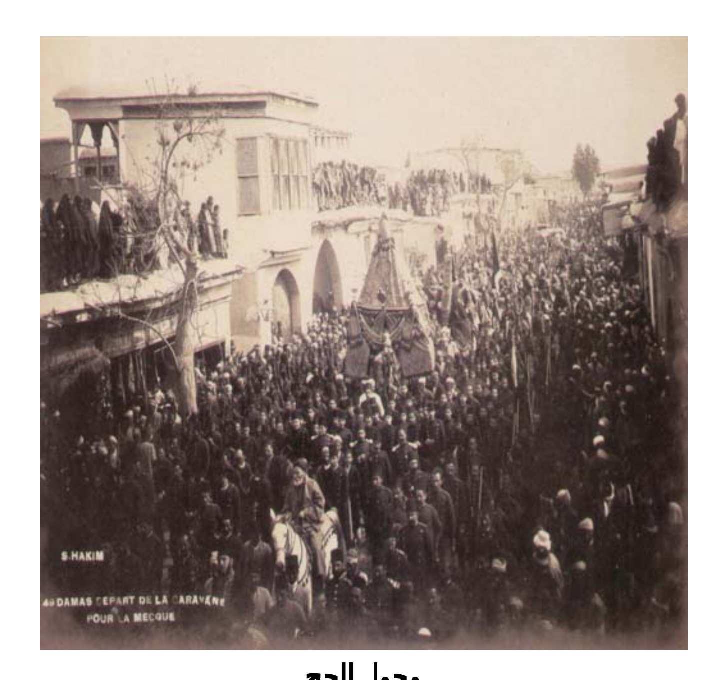
أرض الديار



الشجرة الشهيرة في دمشق



صلاح الدين الأيوبي



محمل الحج

المراجع

- ابن الأثير، عز الدين الجزري الشيباني، عناية: الكرمي أبوصهيب، **الكامـل فـي التاريخ/ تاريخ ابن الأثير**، بيت الأفكار الدولية، الأردن، بلا تاريخ.
- ابن خلدون، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد، تحقيق: الدرويش عبدا ، **مقدمة ابن خلدون**، دار يعقوب، دمشق، سورية، 2004.
- ابن عربشاه، أبو محمد أحمد بن محمد (854هـ)، **عجائب المقـدور فـي أخبـار تيمور**، مطبعة أردوكايئذ، كلكتا، الهند، 1299هـ.
- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة ا بن عبدا الشافعي، **تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأوائل أو اجتاز بنواحيها من وارديهـا وأهلها**، مج 2، ق1، خطط دمشق، تحقيق / د. صلاح الدين المنجـد، مطبوعـات المجمع العلمي العربي بدمشق، المطبعة الهاشمية،دمشق، سورية، 1954.
- ابن كثير الدمشقي، أبو الفداء، إعداد: شمس الدين إبراهيم، **البداية والنهايـة**، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 2001.
- ابن منظور، **لسان العرب**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان،1997.
- أبو سعد هيثم، **آثار السويداء**، ملحق ثقافي، جريدة الثورة: 2005/5/17، مؤسسة الودة للصحافة والطباعة والنشر، دمشق، سورية.
- أبو الفداء عماد الدين بن نور الدين صاحب حماة، **كتاب تقويم البلدان**، دار الطباعة السلطانية، باريس 1850.
- أبو مرق جمال، **أثر الترجمة على فكر رفاعة الطهطاوي، تلخيص الإبريز نموذجاً**، كلية التربية/ جامعة الخليل، مؤتمر "دور الترجمة في حوار الحضارات"، منشورات اتحاد الجامعات العربية. عمان، الأردن، 26-27 حزيران/يونيو 2007.

- الأتابكي، جمال الدين أبو المحاسن، **النجوم الزاهرة في ملوك مصـر والقـاهرة**، سلسلة تراثنا، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، مصر، 1963.
- أثناسيو متري هاجي، **موسوعة كنائس دمشق**، ½، الناشر: المؤلف نفسه، دمشق، سورية، 2004.
- الإيبش، أحمد والشهابي قتيبة، **دمشق الشام في نصوص الرحـالين والجغـرافيين والبلدانيين العرب والمسلمين من القرة الثالث إلى القرن الثالث عشـر للهجـرة**، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سورية، 1998.
- بدران، عبد القادر، **منادمة الأطلال ومسامرة الخيال**، دار البشائر، دمشق- سورية، 1985.
- بنو هاني، خالد – مراجعة: منذر الحايك، **تاريخ دمشق وعلماؤها خـلال الحكـم المصري 1831-1840م**، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، سورية، 2007.
- بهجت، أحمد، **النهضة بعصر إسماعيل**، جريدة الأهـرام، 2007/11/15، العـدد: 43123، القاهرة، مصر.
- بولاد، توفيق يوسف، **تاريخ الفنون والصناعات الدمشـقية- صـناعة السـيوف الدمشقية وسيرة آل بولاد**، مطابع ألف باء الأديب، دمشق، سورية، 1989.
- التونسي، خير الدين، **أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالـك**، مطبعـة الدولـة تونس، 1284 هجرية.
- الحاج إبراهيم، مصطفى وآخرون، **أطلس سورية والعالم**، مؤسسة سعيد الصـباغ/ بيروت، ورابطة الإدريسي الجغرافية/ دمشق، بيروت- لبنان، 1989.
- الحاج بدر، **صور دمشق 1918/1840**، طبعة أولى، لندن، بريطانيا، 2000.
- الحموي، شهاب الدين أبو عبد ا ياقوت بن عبد ا الحموي الرومـي البغـدادي، **معجم البلدان**، 5/1، دار صادر، بيروت، لبنان، 1993.

- الحنبلي، محمد بن عيسى (1424هـ)، تحقيق: الهمذاني محمد بن راشد، **نيابة دمشق وحلب من كتاب المواكب الإسلامية**، مركز إحياء التراث الإسلامي، معهد البحوث العلمية، جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي، مكة المكرمة، السعودية، 2003.
- الخليل، أحمد محمود، **موسوعة الميثولوجيا والأديان العربية قبل الإسلام**، سلسلة إحياء التراث /140/ مديرية إحياء ونشر الكتاب العربي، وزارة الثقافة، دمشق، سورية، 2006.
- الدبس، يوسف إلياس،**الموجز في تاريخ سورية**، المطبعة العمومية المارونية، بيروت، 1907.
- الدبس، يوسف إلياس، **تاريخ سورية الديني والدنيوي- ج2- في تاريخ سورية أيام الإسكندر الكبير وخلفائه وعهد القياصرة الرومانيين إلى آخر القرن الثاني للميلاد**، المطبعة العمومية المارونية، بيروت- لبنان، 1998.
- دو جورج، جيرار- ترجمة دعبول لينا، **دمشق عبر العصور**، دار قتيبة، دمشق، سورية، 2007.
- الرازي، محمد بن أبي بكر. **مختار الصحاح**. مكتبة لبنان. بيروت. 1995.
- سبانو، أحمد غسان، **تاريخ دمشق القديم- إرم ذات العماد**، سلسلة دراسات ووثائق دمشق الشام /7/، دار قتيبة، دمشق، سورية، بلا.
- سعيد، حسين، **الموسوعة الثقافية**، دار المعرفة، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة- نيويورك، 1972. لويس ماسينيون وآخرون، دائرة المعارف الإسلامية، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الشارقة، الإمارات العربية،1998.
- شكري، محمد عزيز، **الموسوعة العربية**، 21/1 غير منتهية، هيئة الموسوعة العربية، رئاسة الجمهورية، توزيع: دار الفكر، دمشق، سورية، 2008/2004.

- الشهابي، قتيبة، **معجم دمشق التاريخي للأماكن والأحياء والمشيدات ومواقعها وتاريخها كما وردت في نصوص المؤرخين**، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سورية، 1998.
- الشيال، جمال الدين، **رفاعة المؤرخ**، مهرجان رفاعة الطهطاوي، ديسمبر 1958، مطبوعات المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، القاهرة، مصر،1960.
- صالح، رشدي، **رفاعة رافع الطهطاوي**،ط1، الهيئة، القاهرة، مصر، 1978. ص:11.
- الصفدي، محمد شفيق، **أقنية ري الغوطة عبر مدينة دمشق**، جمعية أصدقاء دمشق، دمشق، سورية، 1987.
- الطبري، محمد بن جرير أبو جعفر، **تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)**، 5/1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1407هـ.
- الطناحي، محمود محمد، **الموجز في مراجع التراجم والبلدان والمصنفات وتعريفات العلوم**، الطبعة الأولى، القاهرة، مصر، 1985.
- الطهطاوي، رفاعة رافع- تحقيق: عمارة محمد، **الأعمال الكاملة: السياسة والوطنية والتربية**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت- لبنان، 1974.
- الطهطاوي، رفاعة رافع، تحقيق: عمارة محمد، **التمدن والحضارة والعمران**، المؤسسة الغربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1973.
- الطهطاوي، رفاعة رافع، تحقيق: عمارة محمد، **تاريخ مصر والعرب قبل الإسلام**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، 1975.
- الطهطاوي، رفاعة رافع، تحقيق: أبو زيد فاروق، **محمد صلى ا عليه و سلم: "نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز"**، دار الفكر والفن، القاهرة، مصر، 1977.
- عابدين، محمد أبو اليسر، **التعريفات**، مكتبة الغزالي، دمشق، سورية، 1994.
- عابدين، محمد أبو اليسر، **لم سمي؟**، مخطوط بخط المؤلف، غير منشور.

- عصفور، جابر، **الطهطاوي والدولة المدنية**، جريدة الأهرام، 2007/4/2، العدد: 43964، القاهرة، مصر.
- العطية جليل، **رفاعة الطهطاوي: ماذا يبقى منه؟**، ندوة مجلة العربي: الغرب في عيون عربية، 27- 2003/12/29، الكويت.
- العظمة، عبد العزيز- تحقيق: صفوة نجدة فتحي، **مرآة الشام- تاريخ دمشق وأهلها**، دار رياض الريس للكتب والنشر، لندن، 1977.
- عقيلي، محمد طلال، **الجامع الأموي في دمشق**، برنامج تحديث الإدارة البلدية، MAM، دمشق، سورية، 2007.
- علام، مهدي وآخرون، **مختارات من كتب رفاعة رافع الطهطاوي**، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1958.
- غربال، محمد شفيق. **الموسوعة العربية الميسرة**، دار الشعب و مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 1995.
- فرج، نبيل، **أنور لوقا والكتابة عن مصر الأخرى من بونابرت إلي طه**، جريدة الأهرام، 2003/11/24، العدد: 43683، القاهرة، مصر.
- فرج، نبيل، **مظهر التقديس بنشر ثقافة الفرنسيس**، الأهرام، 2006/8/13، العدد: 42663، القاهرة، مصر.
- القزويني زكريا بن محمد، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، لبنان، بلا تاريخ.
- كبريت، زكريا محمد، **البيت الدمشقي خلال العهد العثماني**، 2/1، ط1، مؤسسة الصالحاني، دمشق، سورية، 2000.
- كرد علي، محمد، **دمشق مدينة السحر والشعر**، دار الفكر، دمشق- سورية، 1984.

- كيال، منير، **محمل الحج الشامي- دراسة توثيقية**، سلسلة إحياء التراث العربـي، مديرية إحياء ونشر التراث العربي، وزارة الثقافة، دمشق، سورية، 2006.
- مرتضى، محمد رضا، **المياه في دمشق عبر التاريخ**، المديرية العامة لمؤسسة مياه عين الفيجة، دمشق، سورية، 1987.
- المبيضين، مهند، **تجربة البناء الحديثة للدولة المعاصرة**، الهيئة المصرية العامـة للكتاب، القاهرة، مصر، 2004.
- المسعودي، أبو الحسن علي- عناية: البقاعي يوسـف، **مـروج الـذهب ومعـادن الجوهر**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 2002.
- المسلم، إبراهيم، **إطلالة على علوم الأوائل**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 2006.
- منصور، أنيس، **رفاعة الطهطاوي**، جريدة الأهرام، 2008/4/27، العدد: 44338، القاهرة، مصر.
- الوز، هزوان، **حكايا طائر السمرمر**، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشـق، سورية، 1997.